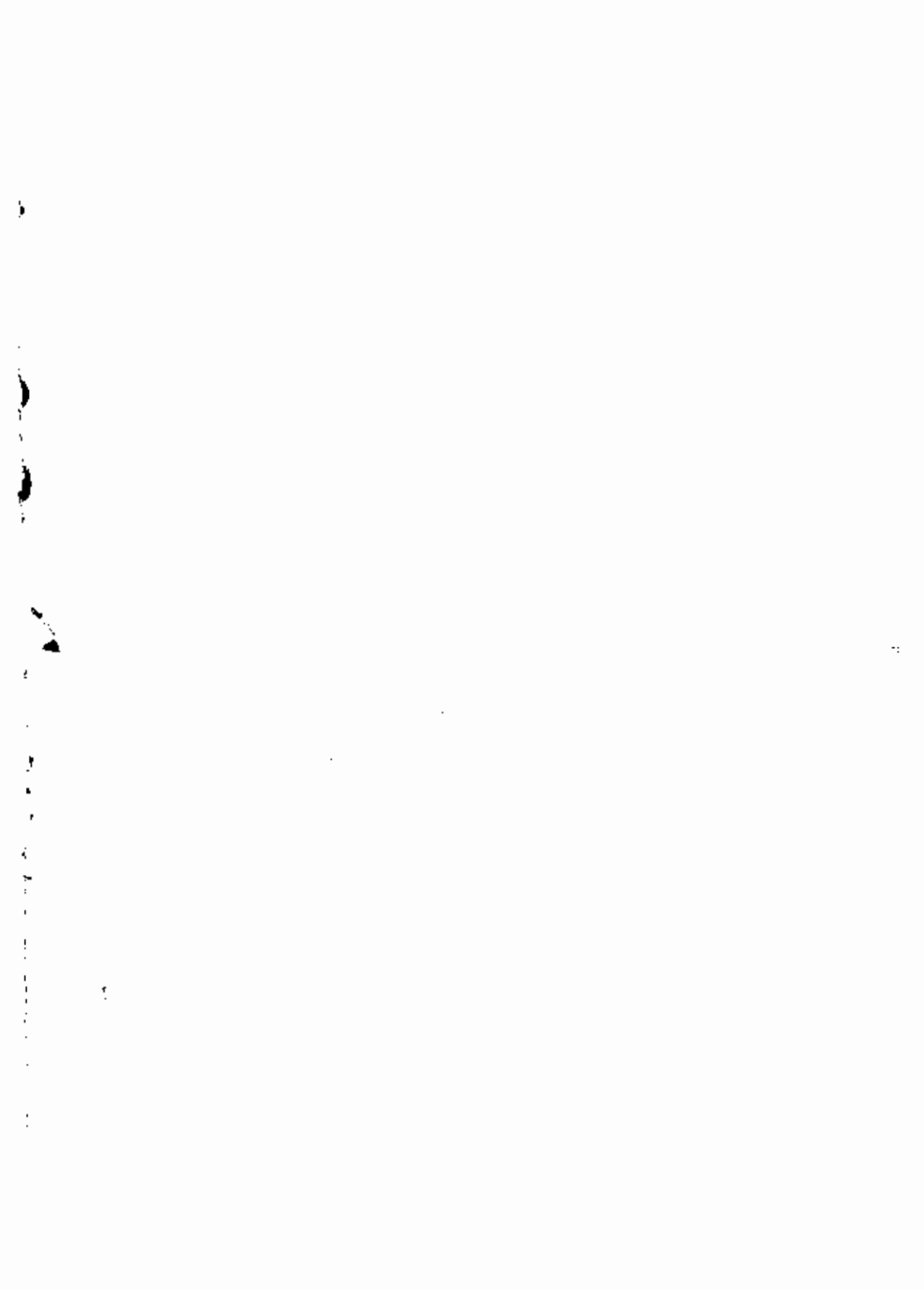


امبراطورية في المنفى
ثيودور لاسكاريس
واحياء الامبراطورية البيزنطية في نيقية

دكتوراه
إسمت غنيم
جامعة الاسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

في عام ١٢٠٤ ، تم للصليبيين اللاتين فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية وحاملة لواء المسيحية في الشرق منذ تأسيسها على يد قسطنطين الأكبر في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وحتى ذلك الوقت من بداية القرن الثالث عشر . وقد كان ذلك الحدث بالنسبة للبيزنطيين ، الزلزال العنيف ، والطوفان المدمر ، الذي أتى على الأخضر واليابس . لقد فقدت العاصمة الأم ، ملكة المدن ، مركز العالم الأرثوذكسي بإجمعه ، المشغولة برعاية وحماية السيد المسيح والسيدة العذراء ، هذا الأمر الذي كان من العسير على البيزنطيين تصديقه . وقد اعتبر المعاصرون منهم ذلك علامة على غضب الله ، وعقابا لهم على آثامهم وخطاياهم وشفاقهم .

وعلى أشلاء الإمبراطورية البيزنطية الممزقة قامت ممالك لاتينية ، وفازت البندقية بنصيب الأسد ، كما أسس البيزنطيون ثلاث ممالك لهم كانت أبرزها إمبراطورية نيقية البيزنطية ، التي قامت بالدور الأعظم والأهم في المكافحة والنضال ضد العدو اللاتيني الذي جثم على أنفاس عاصمتهم ، حتى تم لهذه الإمبراطورية استعادة العاصمة البيزنطية من يد مغتصبها في عام ١٢٦١ ، وبعد فترة صراع ونضال استمرت على امتداد عهود الأباطرة الذين تولوا الحكم في نيقية .

وبعد الفضل الأكبر في تأسيس إمبراطورية نيقية البيزنطية ، إلى تيودور الأول لامسكاريس الذي ناضل نضالا عنيفا حتى تمكن من تأسيس حكمه في نيقية ، وارسى قواعد البناء اليوناني الأرثوذكسي في هذه المدينة ، التي اتخذها ملاذا ومستقرا ومركزا وقاعدة يقود منها حركة المقاومة ضد العدو اللاتيني .

وقد وفق تيودور في جهوده إلى حد كبير ، وسار خلفاؤه على نهجه ، وتوسعوا خطاه ، وقد عاشوا جميعا ، وعملوا جميعا ، من أجل تحقيق هذا الهدف الذي

وضعه تيودور الأول لامسكاريس صوب أعينهم ألا وهو استعادة العاصمة الأم ،
وعودة (الإمبراطورية المنفية) الى مقرها الرسمي في عاصمة قسطنطين .

وهذا البحث يعرض للدور الكبير والهام الذي لعبه تيودور الأول لامسكاريس في
سبيل لم شمل العناصر البيزنطية ، بعد الضربة العنيفة التي نزلت بهم ، وازالت
كيانهم ، وتأسيسه للبطيركية الأرثوذكسية في نيقية خلفا للبطيركية الأرثوذكسية في
القسطنطينية ، ومختلف جهوده العسكرية والسياسية من أجل استعادة العاصمة
الأم .

وقد استلزمت هذه الدراسة الامتعانة بعدد كبير من المصادر سواء البيزنطية أو
اللاتينية الغربية . وفيما يتعلق بالمصادر البيزنطية فأولها زمنا كتاب المؤرخ البيزنطي
المعاصر نقيتاس خونييائيس Nicetas Choniates المسمى Historia ، نظرا لأنه كان
معاصرا للأحداث الخاصة باستيلاء اللاتين على القسطنطينية في عام ١٢٠٤
وتأسيس تيودور الأول لامسكاريس للملكة في نيقية . وقد انتهى هذا التاريخ عند عام
١٢٦٦ م ونشر هذا الكتاب في عام ١٨٣٥ في مجموعة يون البيزنطية .

(Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (C.S.H.B.) وفي تقييم هذا المؤرخ ،
يقول أوستروجورسكي Ostrogorsky ، أنه يمتاز بنظرة شاملة وقوة حقيقية تعينه
على أن يقدم وصفا حيا للأحداث ، وهي ميزة ينفرد بها وتجعله الأكثر لمعانا بين
مؤرخي التاريخ البيزنطي بعد بيللوس^(١) .

أما مؤرخ امبراطورية نيقية البيزنطية بحق فهو جورج اكرولييتيس George
Cropolites (١٢١٧-١٢٨٢) الذي ترك بصمات واضحة على كلا الصعيدين
كرجل دولة ، وعالم ومفكر ، فكان معلما خصوصا لول العهد تيودور الثاني

(١) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, Translated by Hussey, Oxford, 1968,
pp. 352-353.

وللمزيد عن نقيتاس خونييائيس راجع :

أسمت غنيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسؤوليه انحرافها ضد القسطنطينية ، دار المعارف ، الإسكندرية ،

١٩٨٢ . ص.ص ٩-١٠

لامكاريس الذى تول عرش نيقية فى الفترة (١٢٥٤—١٢٥٨) ، وقد حضر
 اكروبوليتيس مجمع ليون فى ١٢٤٥ نائباً عن الامبراطور البيزنطى فى نيقية بوحنا
 فانانزيس (١٢٢٢—١٢٥٤) ، ورئيساً للوفد البيزنطى فى المجمع . وفى عام ١٢٤٦
 أصبح المستشار الأعظم Grand Logothate ، ثم عينه تلميذه الامبراطور ثيودور
 الثانى لامكاريس بعد توليه العرش فى ١٢٥٤ والياً على الأراضى التابعة لامبراطورية
 نيقية فى الجانب الأورى واتخذ سالونيكاً مقره وظل فى منصبه حتى عام ١٢٥٧ .
 وكتابه الذى يعرف باسم Opera نشره Heisenberg فى مدينة Leipzig عام
 ١٩٠٣ . وقد اعطى فيه اكروبوليتيس وصفا واضحا للأحداث السياسية التى
 جرت منذ استيلاء اللاتين على القسطنطينية فى عام ١٢٠٤ وحتى استرداد البيزنطيين
 لها فى ١٢٦١ .

هناك أيضا المؤرخ البيزنطى نقفور جريجوراس Nicephorus Gregoras
 (١٢٩٥—١٣٥٩) الذى كان قريب العهد بهذه الأحداث ، ويعتبر كتابه المسمى
 Historiae Byzantinae الذى نشر فى مجموعة بون البيزنطية C.S.H.B. فى عام
 ١٨٢٩ ، تكملة لتاريخ اكروبوليتيس اذ تناول فيه جريجوراس الأحداث منذ عام
 ١٢٠٤ وحتى تاريخ وفاته فى ١٣٥٩ .

أما بالنسبة للمؤرخين اللاتين الذين تناولوا أحداث هذه الفترة فأهم ما يذكر
 منهم المؤرخان المعاصران جيوفرى فيلهاردوين Geoffery Villehardouin وكتابه عن
 « فتح القسطنطينية بواسطة البارونات الفرنسيين ومشاركة البنادقة فى عام
 ١٢٠٤ » .

La Conquete de Constantinople for les Barons Francais, associez aux
 venetians l'an 1204.

وكذلك روبرت كلارى Robert de Clari الذى كتب عن « فتح القسطنطينية
 La Conquete de Constantinop »^(١) .

(١) فيما يتعلق بالمؤرخين جيوفرى فيلهاردوين وروبرت كلارى وتقييم تاريخهما لهذه الفترة ، راجع : إسمنت
 غنيم : الحملة الصليبية الرابعة . ص ٦٩—٩٠

هذا بالإضافة للعديد من المراجع الحديثة لكبار المؤرخين الذين تناولوا عصر
ثيودور لاسكاريس ضمن عرضهم للتاريخ البيزنطي بصفة عامة ، لأنه لم يظهر
حتى الآن بحث قائم بذاته باللغة العربية أو باللغات الأجنبية ، عن عصر ثيودور
الأول لاسكاريس . فهذا البحث يعتبر أول بحث يلقى الضوء على عصر هذا
الأميراطور والدور الذي لعبه من أجل استعادة العاصمة البيزنطية القسطنطينية من
يد اللاتين ، ويغطي مرحلة هامة من التاريخ البيزنطي لم يرح عنها السناخ حتى
الآن .

والله الموفق ...

اصمت غنيم

لوران : ٧ يناير ١٩٨٧ م

لقد تميزت هذه المرحلة من تاريخ الدولة البيزنطية بالتحديد الشديد نظرا لتشابه الأحداث السياسية في هذه المنطقة من شرق أوروبا وغرب آسيا الصغرى وتعدد العناصر التي ساهمت بنصيب وافر في هذه الأحداث .

فقد نجح اللاتين الغربيين في إسقاط العاصمة العريقة القسطنطينية في عام ١٢٠٤ وأقاموا ممالك لهم على أنقاضها كانت هي - الأباطورية اللاتينية في القسطنطينية - مملكة سالونيكاً إمارة آخايا Achaia في البلوبونيز ، ودوقية آينا وتيس في وسط بلاد اليونان . أما البندقية فقد انتشرت نفوذها في جزء من القسطنطينية $\frac{2}{8}$ يبلغ المدينة والجزر البيزنطية في البحرين الأيحي والايوني ، وجزيرة كريت ، وعدد من الأماكن الساحلية والداخلية^(١) .

على أن الطبقة الأرستقراطية البيزنطية ، التي فرت من العاصمة بعد سقوطها في يد اللاتين الغزاه نجحت في تأسيس ثلاث مراكز بيزنطية ، ففي الشمال الغربي لبلاد اليونان خلف جبال بندوس Pindos وحول أرتا Arta وضع ميخائيل أنجيلوس (١٢٠٤-١٢١٥) أساس إمارة ايروس Epirus .

وعلى الساحل الجنوبي للبحر الأسود أسست إمارة طرايزون تحت حكم اليكسيوس ودافيد كومنينوس ، أكبر أبناء الامراطور اندرونيكوس الأول كومنينوس (١١٨٣-١١٨٥) الذي كان قد ارتبط برابطة المصاهرة مع البيت الملكي في جورجيا ، وفي ابريل ١٢٠٤ نجح كل من اليكسيوس ودافيد بمساعدة خالته الملكة الشهيرة ثمارا Thamar (١١٨٤-١٢١٢) في الاستيلاء على طرايزون ، وظلا

(١) Villehardouin: La Conquete de Constantinople par les Barons Francais associez aux venitiens l'an 1204, English by Sir Marziale, London, 1969, P. 69.

Gregoras: Historiae Byzantinae, ed. weberi, Bonn, 1829 PP. 14-16.

wolff (L.): Studies in the latin Empire of Constantinople, London, 1976, PP. 190-195.

Ostrogorsky: op. cit., PP. 423-424

Whitring (Ph.): Byzantium, Oxford, 1981, P. 113.

هي ملكة جورجيا ، وقد خلفت والدها المنكح جورج الثاني (١١٥٦-١١٨٤) على العرش ، وبعد المهادنة التي تأسس الشخصية الجورجية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وقد وصلت جورجيا تحت حكمها الى درجة كبيرة من القوة والانساع حتى شملت معظم بلاد انقراز ، كما تمتعت = اسلاف و عهدها بمصاهرة لأمعة . حيث شجعت الغنائم والكنوز والعلماء الذين هربوا الى بلادها من

يتقدمان على طول الساحل الغربى للبحر الأسود ، فاستوليا على سينوب Sinope ،
بغلاجونيا Paphlagonia وهرقلية البنطية Pontive Heraclea^(١) .

أما ثيودور لاسكاريس فقد استطاع بعد جهد وعناء من تأسيس مملكة عرفت
باسم امبراطورية نيقية البيزنطية ، كانت مدينة نيقية في آسيا الصغرى عاصمتها ،
وقد نافسه في هذه المنطقة الأتراك السلاجقة الذين اتخذوا من قونية عاصمة
لسلطنتهم .

فضلا عن ذلك ، كان هناك الامبراطورية البلغارية ، التى ظهرت في عام
١١٦٨ م . والتى كان على رأسها في ذلك الوقت القيصر جوهانيتزا Joannitsa أو
كالوجان Kalojan (١١٩٧-١٢٠٧) ، ثم جاء من بعده بوبيل (١٢٠٧-١٢١٨) ، ثم
يوحنا آسن الثانى John Asan II (١٢١٨-١٢٤١)^(٢) .

كل هذه العناصر المختلفة من فرنجية لاتين ، ويونان بيزنطيين ، وأتراك وبلغار ،
أسهموا مساهمة فعالة في الحياة السياسية المعقدة التى تلت عام ١٢٠٤ ، وامتلاً
القرن الثالث عشر الميلادى ، بالصراع بين هذه العناصر المختلفة . فاليونان
البيزنطيون ناضلوا ضد اللاتين ، كما دخلوا في صراعات بين بعضهم والبعض
الآخر ، بعد أن تناهت هذه الأمارات البيزنطية الثلاث حول زعامة الشعب
البيزنطى ، كما كافحوا أيضا ضد البلغار والأتراك . واللاتين حاربوا ضد البيزنطيين
كما حاربوا ضد البلغار . وكان للبلغار هم أيضا طموحاتهم واطماعهم في

مختلف الأنحاء ، وقد أدت سياستها خارجها الطيبة في عهد غلبتها لملك خروج الرابع (١٢١٢-١٢٢٢) =
اندس آخر عهده العصر الذهبى لجورجيا ، والنهى حكم مملكة واسعة شملت بلاد القوقاز ، من البحر
الأسود حتى بحر الكاسبيان الذى يقع بين حدود فارس آسيا وأوروبا ، وشملت مملكته كذلك الجزء
الرئيسى من أرمينيا العظمى ، كما بلغت الحضارة الجورجية في عهده قممها ، وقد وقع الهجوم المغول على
مملكته في السنة الأخيرة من حكمه راجع

Allen: A History of the Georgian People, 1932.

- (1) Miller: The Empire of Nicaea and recovery of constantinople, in C.Med.H. ed Bury.
Vol. IV, 1923, PP. 479-480.
Angold: A Byzantine Government in Exile, 1204-1261, Oxford, 1975, P. 12.
Walter: La Ruine de Byzance (1204-1453), ed Albin, Michel, piehel, paris, 1958, P. 163.
Brehier: Vie et mort de Byzance, Paris, 1969, P. 309
Ostrogorsky: op. cit., P. 423.
- (2) Wolff: The Second Bulgarian Empire, its Origin and History to 1204, Research in
(Studies in the latin Empire of Constantinople), chapter III, PP. 167-206.

القسطنطينية منذ زمن بعيد ، وجاء استيلاء اللاتين عليها في عام ١٢٠٤ ، والنهضة التي بلغتها دولة البيلغار في هذه الآونة ، مجددا آمالهم في الاستيلاء على عاصمة قسطنطين .

وقد أدت كل هذه التعقيدات السياسية والعسكرية ، الى قيام تحالفات عالمية محدودة قصيرة الأجل ، كانت تبدأ بيساطة ، وتنتهي بيساطة مماثلة ، وكما قال المؤرخ الألماني نيومان Neumann : كل هذه الحكومات الأجنبية في الشرق ، لم يكن رد فعلها الابداع ، وإنما التحطيم ... يضاف لذلك انهم هم انفسهم قد حُطّموا ، وبقي الشرق سيذا على الشرق (١) .

ولم يعد نيومان عن الحقيقة ، فرغم كل هذه الصراعات العسكرية والسياسية ، ورغم تعدد العناصر في هذه المنطقة من شرق أوروبا وغرب آسيا الصغرى ، الا أن الشرق ممثلا في البيزنطيين تمكن من طرد هؤلاء الغزاة ، واستعاد سيادته على أراضيه من جديد .

ويعود الفضل في ذلك الى امبراطورية نيقية البيزنطية ، التي لعبت الدور الكبير والهام في النضال ضد مختلف العناصر ، وخاصة اللاتين ، حتى تمكنت بالفعل من استعادة العاصمة القسطنطينية في عام ١٢٦١ .

ففي الوقت الذي أوشك فيه الصليبيون أن يقتحموا القسطنطينية في ١٢ أبريل عام ١٢٠٤ ، كانت تجري بعض المراسم في كنيسة آيا صوفيا لانتخاب امبراطور جديد ، بعد فرار الامبراطور اليكسيوس الخامس مرزفولوس Murtzuphlus عام (١٢٠٤) . وقد وقع اختيار رجال الدين وعلى رأسهم بطريرك القسطنطينية John Camaterus على ثيودور لاسكاريس ليتولى العرش ، ولكن وقبل أن يتم تقليده بالشارات الامبراطورية ، ونظرا لخطورة الموقف قام ثيودور بمحاولة للتمسك المدافعين عن العاصمة ، وحينما رأى أنه لا فائدة من المقاومة وأن كل شيء قد انهار ، فر مع زوجته وبناته الثلاث وعبر بحر مرمرة الى آسيا الصغرى .

(١) Neumann (C.): "Die Byzantinische Mutve", Historische Zeitschrift, LXXX, 1898, PP. 1-2.

وهكذا فقد امتاز ثيودور لاسكاريس عن غيره من الحكام البيزنطيين الذين اسروا لهم ممالك سواء في ابيروس أو طرابزون ، امتاز عنهم جميعا ، بأنه تم اختياره امبراطورا شرعا للبيزنطيين بواسطة رجال الدين وعلى رأسهم البطريرك ، وفي كنيسة آيا صوفيا ، الكنيسة الرئيسية في الامبراطورية ، كما أنه تمت بصلته المصاهرة مع البيت الملكي البيزنطى الذى كان يحكم قبل فتح اللاتين للقسطنطينية ، وهو آل انجيلوس ، فقد كان متزوجا من آنا ابنة الامبراطور اليكسوس الثالث انجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣) . وكان ثيودور لاسكاريس في ذلك الوقت في الثلاثين من عمره ، وكان يشغل منصب القائد في الجيش البيزنطى ، وقد ابلى بلاءا حسنا في الحرب ضد البلغار ، وكذلك في مقاومة حصار الصليبيين للعاصمة البيزنطية في عام ١٢٠٤^(١) .

بعد وصول ثيودور لاسكاريس الى آسيا الصغرى ، وقع اختياره على مدينة نيقية ليأخذها ملاذا يلوذ به ، ومركزا يقود منه حركة المقاومة ضد اللاتين . والواقع أن اختياره لمدينة نيقية بالذات يدل على بعد نظر ، وسعة أفق ، نظرا لقرنها من العاصمة القسطنطينية ، فبينهما مسافة لا تتجاوز الأربعين ميلا فقط ، مما يجعله قريبا من اللاتين يستطيع أن يراقب تحركاتهم ، ويقتل راحتهم .

وتقع هذه المدينة في اقليم يثينيا في الشمال الغربى من آسيا الصغرى ، وتشرف على بحيرة اسكانيوس Ascanius ، وكان قد بناها الملك انتيجونوس Antigonos في عام ٣١٦ ق.م. ، وأطلق عليها اسم انتيجونيا Antigonía نسبة إليه . ثم جاء الملك لسيماخوس Lysimachus وغير اسمها الى نيقية Nicaea نسبة إلى اسم زوجته . وفي أيام الامبراطورية الرومانية ، أصبحت نيقية ونيقوميديا عاصمتى اقليم يثينيا . وقد وصف نيقية الجغرافى سترابو Strabo ، وقال انها بنيت على شكل المربع ولها بوابه في كل جانب من جوانبها الأربعة . وفي أيام الامبراطورية البيزنطية ذاع إسم نيقية بعدما اتخذها الامبراطور قسطنطين الأكبر مقرا لانتقاد المجمع الدينى الأول في عام ٣٢٥ م . الذى ناقش مشكلة الخلاف بين آريوس

(1) Miller: The Empire of Nicaea, P. 478

Nicol: The Fourth crusade and the greek and latin Empire 1204-1261, in C. Med. and Hist. Soc., Cambridge, 1975, Vol. IV, P. 291.

وأناسيوس ، وظلت مزدهرة ، كثيرة الخيرات ، فقد امتدتها سهول يثينا بالقمح ، والعنب ، على حين امتدتها البحيرة القريبة منها بالأسماك ، كذلك توفرت بها المياه ، وكثر بها شجر السرو الذي جعل المدينة متعة للناظرين ، وقد امتازت بمشوارعها الواسعة ، وكنائسها وأديرتها العديدة التي ما يزال بعضها قائما حتى الآن . كما كانت المدينة قوية التحصين عن طريق أسوارها القوية وإبراجها المرتفعة وبواباتها المثينة ، التي ما تزال باقية حتى الوقت الحاضر^(١) .

وفي عام ١٠٧٥ فتحها الأتراك السلاجقة واتخذوها عاصمة لممتلكاتهم في آسيا الصغرى وظلت بأيديهم أكثر من عشرين عاما حتى استعادها الإمبراطور اليكسوس كومنينوس في عام ١١٩٧ بمساعدة صليبي الحملة الأولى وظلت تابعة للدولة البيزنطية حتى وصل إليها ثيودور لاسكاريس في عام ١٢٠٤ وطلب من أهاليها اعتباره حاكمهم الشرعي .

على أن أهالي نيقية رفضوا استقباله وأغلقوا أبواب مدينتهم في وجهه ، وربما كان الدافع للأهالي على تصرفهم هذا هو خوفهم من انتقام اللاتين ، لذلك فقد اتجه ثيودور إلى مدينة بروسا Brusa القريبة من نيقية واستقر هناك ، وعلى الفور التف حوله عدد كبير من اللاجئين البيزنطيين سواء من المدنيين أو رجال الدين الذين فروا من وجه اللاتين^(٢) . ولم يلبث اللاتين أن وجهوا قواتهم إلى آسيا الصغرى لاحتلالها ، وهنا بدأ الصراع سافرا بين ثيودور لاسكاريس والقوات اللاتينية .

ذلك أن مدينة نيقية منحت لقب (دوقية) وكانت من نصيب واحد من

(١) Nicetas Choniates: Historia, ed. Weberi. Bonvae, 1835, P. 318

Villichardouin: La conquete de constantinople, P. 304.

Miller: The Empire of Nicaea, PP. 478-79.

Vasiliev: The Byzantine Empire, Vol II, PP. 512-513

Magie: Roman Rule in Asia Minor, 2 Vols, 1975.

Pears: The Fall of constantinople, Being the story of the fourth crusade. New York, 1975, P. 33, P. 80.

(٢) Georgii Aenopolitae opera, ed. Hirschenberg, I, P. II, II, P. 59, m7 18

Miller: Op. cit., P. 479

Nicoh: The Fourth crusade, P. 791

أكبر القادة في الحملة الصليبية الرابعة وهو الكونت لويس أوف بلواشازر Count Louis of Blois and Charter الذي كان نبيلاً ثرياً ، وهو ابن اخت ملك إنجلترا ، وقد لعب دوراً هاماً في تنصيب بلدوين أوف فلاندرز كأول إمبراطور لاتيني يثولى عرش القسطنطينية . وفي أول نوفمبر عام ١٢٠٤ أرسل الدوق الفرنسى ليقه اثنين من رجاله هما بور دى براكوى Burre de Bracheuil ، ريباين دى اورليان and Payen d'orleans مع قوة من ١٢٠ فارساً لامتلاك نصيبه فى آسيا الصغرى . وقد وصل هؤلاء جميعاً الى مدينة بيجا Piga الواقعة على مضيق الدردنيل ، حيث أظهر الأهالى الترحيب بهم ، ثم احتلوا المدينة الهامة باندردما Panderma .

وقد كان لابد لثيودور لاسكاريس أن يدافع عن ملجأه الأخير الذى بقى له فى أرض آسيا الصغرى بعد أن احتل اللاتين العاصمة البيزنطية ، ووزعوا املك الامبراطورية على انفسهم ، لذلك فقد جمع جيشاً والتقى مع جيش اللاتين فى سهل امام قلعة بومانيفون Poemanivon فى ٦ ديسمبر عام ١٢٠٤ ، ولم يستطع لاسكاريس وجيشه الصمود امام اللاتين ففر ، وتمكن اللاتين خلال اسبوع واحد من الاستيلاء على عدة مواقع هامة فى هذه المنطقة ، مثل القلعة الحصينة بومانيفون Poemanivon ومدينة لوباديوم Lopadium التى كانت من اجمل مدن اقليم بيثينيا ، وقلعة بوليكتا Polychna وهى تقع على بحيرة جارية الماء ، وتعد واحدة من احسن القلاع واحصنها ، ثم حاصروا مدينة بروسا Brusa ملجأ ثيودور لاسكاريس ، ولكن المدينة كانت جيدة التحصين ، وقد هيا لها ذلك موقعها الطيعى القوى واسوارها المرتفعة ، لذلك فقد قاومت الحصار ، وقد شجع حصار اللاتين لبروسا الأهالى على الثروة ضد لاسكاريس ، خوفاً من انتقام اللاتين اذا ساعدوا لاسكاريس ضدهم وخاصة أن فتوحات اللاتين ، وأوطأ فتحهم للقسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية نفسها ، وما تلاها من فتوحات فى الجانب الأوربى والجزر اليونانية وآسيا الصغرى ، قد اعطت الأهالى فكرة عن أن هؤلاء اللاتين لا يمكن قهرهم ، وأنه من الأسلم لهم أن يستسلموا خوفاً من بطشهم .

كذلك تمكن هنرى شقيق بلدوين إمبراطور القسطنطينية اللاتينية ، من احتلال مدينة ابيدوس Abydos ، وترك بها حامية من رجاله ، ثم سار الى مدينة ادراميتيوم Adramyttium الواقعة على شاطئ البحر ، وبينها وبين ابيدوس مسافة يومين فقط ، وقد استسلمت له المدينة التى كانت غنية بغيراتها كما استسلم له جزء كبير من الأقليم^(١) .

وهكذا وقعت معظم مدن اقليم يثينيا فى يد اللاتين ، وبدا وكأن البيزنطيين قد خسروا قضيتهم كذلك فى آسيا الصغرى . لكن وفى هذه اللحظات المصيرية الحاسمة ، وقعت أحداث معينة كان لها أثر كبير فى تغيير مجرى الأمور ، وكانت هذه الأحداث خاصة بالصراع الذى اشتعل بين اللاتين من جهة وبين الأرستقراطية البيزنطية فى تراقيا وقصر البلغار جوها نبتزا من الجهة الأخرى ، وقد جاءت تلك الأحداث فى الوقت المناسب تماما لتخدم القضية البيزنطية وتنفذ لاسكاريس وآماله فى تنظيم المقاومة ضد الغزاة اللاتين واتخاذ آسيا الصغرى معقلا له يقود منها حركة المقاومة البيزنطية .

وتفصيل ذلك أن ملاك الأرض من الأرستقراطيين البيزنطيين فى اقليم تراقيا Thrace أبدوا استعدادهم للاعتراف بسيادة اللاتين عليهم ، ومنحهم التأييد ، على أساس أن تظل ملكياتهم للأرض Promoiæ ، كما هى فى أيديهم . لكن اللاتين رفضوا ، وأكثر من ذلك ، أخذوا يعملون على استفزاز اليونان فى هذا الاقليم ، عن طريق تحقير العقائد والطقوس الدينية الأرثوذكسية ، مما اساء اساءة بالغة للشعب اليونانى فى تراقيا ، ودفعهم للاستجاء الى قيصر البلغار جوهان نيتزا طالبين منه مساعدتهم فى التخلص من سيطرة اللاتين ومقدمين له التاج الملكى .

وقد جرت اتصالات سرية بين الطرفين ، قام خلالها بدور هام بطريرك القسطنطينية السابق يوحنا كاماتيروس ، الذى كان يقيم فى بلغاريا بعد فراره من القسطنطينية عقب فتح اللاتين لها ، وقد عمل كاماتيروس على تكوين حلف يونانى بلغارى فى عامى ١٢٠٤-١٢٠٥^(٢) .

(1) Villehardouin: La conquête de constantinople. PP. 83-84.

(2) Nicetas choniates: Historia, ed. Bonn, PP. 761-808.

وقد كان قيصر البلغار لديه الاستعداد لقيام مثل هذا الحلف ، بعد أن اضاء
إليه اللاتين هو الآخر . فبعد أن علم الملك البلغاري بفتوحات اللاتين على
حساب الامبراطورية البيزنطية ، عثى على ممتلكاته من أن تمتد إليها يد اللاتين
منظماً فعلوا مع البيزنطيين ، لذلك فقد أرسل الى البابا اينوسنت الثالث
(١١٩٨-١٢١٦) يقول : « اكسب الى اللاتين لكي يتعدوا عن امبراطوريتي ، وإذا
هم فعلوا ذلك ، فان امبراطوريتي لن تؤذيهم .. ولكن اذا هم قاموا بمحاولة
ضدها ، وقتل البعض منهم ، فان هذا لن يكون خطئى »^(١) .

وقد اراد جوهانيتزا أن يقيم علاقات ود وصداقة مع اللاتين في القسطنطينية ،
ولكن اللاتين ، بغطرستهم المعهودة ، أبوا ذلك ، وأوضحوا له أنه من غير اللاتين
أن ينظر الى الامبراطور اللاتيني على أنه نظير له ، وإنما يجب أن ينظر إليه على أنه
ميذا له ، ثم وجهوا اليه انذاراً مضمونه ، انه إذا نهان في احترام الامبراطور
بلدوين ، فانهم سوف يفتحون بلاده بحد السيف وقوة السلاح وسيعيدونها من
جديد دولة تابعة ، كما سبق عهدتها مع بيزنطة^(٢) .

وهكذا قربت هذه الظروف بين البيزنطيين في تراقيا وقيصر البلغار ، وجعلتهما
حليفين يسيان معا للدفاع عن ممتلكاتهما ضد خطر اللاتين .

ويعلن المؤرخ اوسپنسكى Uspensky على هذا الحلف البيزنطى البلغاري يقول :
« لقد وضع هذا الحلف حدا لثرد كالرجان ، وثبت خطته لتحركاته المقبلة ،
واظهره كحامى للارثوذكسية ، وللمشعين اليوناني والبلغاري ضد سيطرة اللاتين
الكاثوليك »^(٣) .

وهكذا اشتعلت الحرب بين قيصر البلغار ويؤيده البيزنطيون في البلقان ، وبين
اللاتين ، وانتشرت الثورة في تراقيا ضد اللاتين ، واستولى البلغار وحلفاؤهم

(1) Wolff: Studies in the Latin Empire of constantinople, chapter I, PP. 201-202.

Villehardouin: la conquete de constantinople, P. 57.

Vasiliev: History of the Byzantine Empire, Vol: II, P. 509.

(3) Ostrogorsky: History of the second kingdom of Bulgaria.

Uspensky (P.): The Formation of the second Kingdom of Bulgaria, Odessa, 1879, PP
245-246.

البيزنطيون على ديموبكا التابعة للإمبراطور بلديون ، وهادريا نوبل (ادرنه) التابعة
للبنادقة . عند ذلك عقد الإمبراطور بلديون مجلسا للشاور مع دوق البندقية
هنري داندولو والكونت لويس اوف بلواوشارتر ، وتدارسوا الموقف واجمعوا على
تكريس جهودهم كلها من أجل القضاء على هذه الثورة المسلحة ضد النفوذ
اللاتيني في البلقان ، وإلا فانهم سوف يخسرون كل ممتلكاتهم هناك . لذلك فقد
ارسل الإمبراطور بلديون الى شقيقه هنري الذي كان عند ادراميتيوم
Adramyttium ، كما سبق أن أوضحنا ، لكي يترك فتوحاته في آسيا الصغرى
 ويعود للمساعدة في الحرب ضد البلغار . كذلك ارسل الكونت لويس اوف
بلواوشارتر الى نائبه في آسيا الصغرى اللذين كانا عند لوباديوم Lopadium ، وإلى
جميع رجاله لكي يتركوا فتوحاتهم فيما عدا ييجا Piga نظرا لأهمية موقعها على
مضيق الدردنيل ، ويتركوا بها حامية صغيرة ويعود الجميع للمشاركة في الحرب ضد
البلغار⁽¹⁾ .

وقد توجه الإمبراطور وباروناته ، ودوق البندقية ، والجيش اللاتيني الى
هادريانوبل حيث حاصروها ، ويصف شاهد عيان هو روبرت كلاري ، ما تلى
ذلك من أحداث فيقول :

“..... Si Comme il Scoient esluce, este me Vous Un Jour on Jehans li
Blaks, et il et li Commain, a tout malt grant gent, Venoient le tere de
Coustantinoble, Si Comme il avoient autre fois fait; Si trouverent
L'emperceur a toute s'ost seant a Andernople. Quant chil de l'ost virrent
ches Commain a ches plichons vestus, Si ne les douterent ne prisierent
nient plus que un trope d'enfans; et chil Commain et chele gent venoient
grandesme aleure, Si Keurent il sus as Franchois, Si enochisent mout, Si les
desconfissent il lous enchele bataille. Si fu perdus li empereres, que on ne
Saut onques que il devint, et li cuens Loies et molt d'autres haus hommes et
tant d'autre gent que nous n'en Savons le nombre, mais que bien iperdi on
trois chens chevaliers; et qui escaper peut, Si S'en vint fuiant en Coustan-
tinople, Si que li dux de Venice S'en Vint fuiant et asses gens avec lui, et

(1) Villchardouin: La conquete de coustantinople. P. 87.

laissierent leur tentes et leur harnas, tout Si Comme il seioient a chele chité,
que onques n'oserent vertir chele part si i fu le desconfiture grans⁽¹⁾

وترجمة هذا النص باللغة العربية كالتالي : « وبينما كانوا معسكرين امامها
(هادرانويل) اذا بهم يصرون في أحد الأيام جون الوالاشي والكومان⁽²⁾ في جيش
كبير ، قد جاؤا الى منطقة القسطنطينية ، كما فعلوا من قبل ، ووجعلوا الامبراطور
وجميع جيشه معسكرين امام هادرانويل ، فلما انصر رجال الجيش الكومان
متدثرين بجلود ماشيتهم ، لم يخافوا منهم أو يعبأوا بهم ، أكثر من خوفهم من فرقة
صغيرة من الأطفال ، فانطلق الكومان في سرعة ، وكروا على الفرنسيين ، وقتلوا
الكثيرين منهم وهزمهم جميعا في هذه الموقعة ، وتفتقد القوم الامبراطور ، فلم
يعرف أبدا بعدئذ ما جرى له ، كما ضاع أيضا الكونت لويس وكثيرون غره من
كبار الرجال ، وحشد كبير لا نعرف لهم عدا ، وإن كان المالكون ثلاثمائة
فارس . أما الذين نجوا من القتل فقد فروا الى القسطنطينية ، كما فر دوق البندقية
ومعه الكثيرون ، وتركوا معسكراتهم واسلحتهم كما كانت أمام المدينة ، لأنهم لم
يجرؤا على الذهاب الى هذا الطريق ، ومن ثمة كان الهلاك عظيما . »

وليس ابلغ من وصف كلاري لهذه الحادثة ، فقد استخف اللاتين بقوة الملك
البغارى ومن معه من الكيومان ، وترتب على ذلك هذه الكارثة التي حلت

(1) Robert de Clari: La Conquete de Constantinople ed. J. P. Migne, Paris, 1924. P. 106.

(2) ذكرهم كلاري باسم Comman ، لكن الاسم الصحيح لهم هو كيومانز Cumans أو بولوفسي
Polovtsy ، وهم قائل تركية بدوية ، يرجع اصلهم الى وسط آسيا . وابتداء من القرن الخامس
الميلادى وحتى القرن الثامن هجروا من موطنهم بواسطة قبائل أخرى . وقد اندمج بعض الكيومان مع
عنصر المغول بينما مزج بعضهم الآخر الى السهول الجنوبية لروسيا خلال القرن العاشر

وقد عرف الكيومان في التاريخ بجسارتهم الخطيرة ومعاركهم السريعة ضد أعدائهم سواء من
البيزنطيين أو الروس ، الهجتلز ، الفنغاريين وغيرهم . وفي عام ١٢٢٧ هزمهم باتوخان Batu-Khan ،
أحد أحفاد حكيو خان ونغل بجمهم . ونشئ بهم الحال الى الاندماج في الامبراطورية المغولية التي
اسمها باتوخان بعرفت باسم Golden Horde والتي حكمتها في الفترة (١٢٢٧-١٣٥٦)

Grousset (R.): L'empire des Steppes, 1945

جمع

باللاتين وجيشهم في موقعة هادريانوبل في ابريل ١٢٠٥ . ولم يعرف احدا على وجه التحديد مصير الامبراطور بلديون ، وقد اختلف المؤرخون المعاصرون في هذا الموضوع ، فروبرت كلاري كما رأينا ذكر أن الامبراطور بلديون قُتِلَ ولم يعرف أحد ما حدث له . أما فيلهاردوين الذي اشترك هو الآخر بنفسه في المعركة ، فقد ذكر أن الامبراطور بلديون أخذ أسيرا ، ولم يقتل ، على حين ذبح الكونت لويس اوف بلواشارتر^(١) .

واختلف المؤرخون البيزنطيون هم أيضا في المصير الذي آل اليه الامبراطور بلديون فذكر تقيثاس خونيائيس أن بلديون أخذ أسيرا الى عاصمة جوهانيتزا وهي Trinovo في أعلى جبال البلقان ، وهناك كُبل باللاس حتى رقبتة وهو على قيد الحياة^(٢) . أما المؤرخ اكروبوليتيس فقد أوضح أن جوهانيتزا قد قطع رأس بلديون وزنها بالحلوى واتخذها وعاء لشرايه^(٣) .

وهكذا يتفق كل من المؤرخ اللاتيني فيلهاردوين والمؤرخ البيزنطي خونيائيس وهما معاصران للاحداث ، في ايضاح المصير الذي آل اليه الامبراطور اللاتيني للقسطنطينية بلديون ، وهو انه أسر ونقل الى عاصمة البلغار . وربما كان هذا هو الأقرب الى الصواب والحقيقة ، ويؤيد هذا الرأي تلك الرسالة التي أرسلها البابا اينوسنت الثالث في أغسطس أو سبتمبر من عام ١٢٠٥ الى جوهانيتزا يطلب منه أن يطلق سراح بلديون كأساس لاقرار السلام مع اللاتين^(٤) .

وعلى هذا النحو بدأت في الأنبيار قوة اللاتين بعد سنة واحدة من فتحهم القسطنطينية ، ويقول المؤرخ الألماني جلزر Gelzer : « سيادة الفرنجة على الدولة البيزنطية انتهت في ذلك اليوم الحزين »^(٥) .

أما اسبنسكى Uspensky فيقول : « بقاء الامبراطورية اللاتينية في

(1) Vülcherdoun: La conquete de constantivople, P. ٩٨.

(2) Choniates: Historia, ed. Bonn, P. 814.

(3) Georgu Acropolitae ohera, ed Heisenberg, I, P. 22.

(4) Wolff: Studies in the lativ Empire of Constantivople, P. 289.

(5) Gelzer (H.): Abriss der Byzantinischen kaisergerges chichte, P. 1042.

انقسطونية دون ادنى شك ، فترة أخرى من الزمن ، كان تماما ، في ايدي البلغار^(١) . وقد كانت معركة هادريانوبل ، وما ترتب عليها من هزيمة اللاتين على هذه الصورة ، مما جعل جوهانيترز يعتمد بقوته ، ومن ثمة نقض تحالفه مع يونان البلقان ، وقام بغارات مدمرة ضدهم في شتاء وريبع عامى ١٢٠٥—١٢٠٦ ، وافنى معظم سكان المدن ، واتخذ لقب (سفاح الرومان) Romaiktonos^(٢) ، ردا على لقب (سفاح البلغار) Bulgaroktonos الذى كان قد اتخذه الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٥—١٠٢٥) .

ومن ذلك يتضح أن قيصر البلغار وشعبه لم ينسوا عداؤهم السابق لبيزنطة والبيزنطيين ولم يكن تحالفه مع يونان البلقان إلا أمرا مؤقتا حتى يضمن مساعدتهم له ، أو على الأقل حيادهم اثناء صراعه مع اللاتين . كما أن اليونان انفسهم لم يتحالفوا معه الا من أجل كسب مساعدته لهم ضد اللاتين ، أما عن شعورهم الحقيقى تجاهه ، فقد وضع تماما من اللقب الذى اطلقوه عليه وهو Skyloiannes^(٣) ومعناها بالعربية (الكلب جون) .

وقد خدمت هذه الأحداث كلها ، الخاصة بصراع اللاتين والبلغار ، وما أدى إليه من اشتعال معركة هادريانوبل بين الطرفين ، ثيودور لاسكاريس ، وكانت لها نتائج هامة وبعيدة المدى . فقد انسحب اللاتين من آسيا الصغرى ، بعد أن أوشكوا أن يفتحوها ، ويقضوا على ثيودور لاسكاريس . وقد قتل الدوق الأول والأخير لثيقية ، وهو لويس أوف بلواشارتر ، قبل أن تغطأ قدمه أرض آسيا الصغرى ، وبذلك خلا الجو لثيودور لاسكاريس لكى يلتقط انفاسه ، وينظم أموره ، ويعمل جاهدا على تأسيس ملكه هناك ، ومنحه الفرصة في حياة جديدة وأمل جديد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد افتقد يونان البلقان مركزا قوميا لهم في أوروبا ، بعد أن تعرضوا للاضطهاد والعداء من جانب البلغار واللاتين في آن واحد ، لذلك فقد ولوا وجوههم شطر ثيودور لاسكاريس في آسيا

(1) Lazen-ky: Second Bulgarian Kingdom, P. 250

(2) Georgii Acropolites opera, ed. Heisenberg, PP. 23-24.

(3) Ibid: P. 24.

الصغرى ، ونظروا اليه على أنه المحرر الأمثل لهم من الغزاة اللاتين والبلغار ،
والتحدث الرسمي عن آمالهم واحلامهم .

كذلك ترتب على هزيمة اللاتين في معركة هادريا نوبل ، أن اتفق أهالى نيقية
على تسليمها لثيودور لاسكاريس ، بعد أن رأوا كيف انهارت قوة اللاتين ، وانهم
ليسوا بالقوة التى ظنّوهم بها . وهكذا نقل ثيودور لاسكاريس عاصمته من بروسا
الى نيقية^(١) ، وجمع حوله رجال الدين الأرثوذكسى ، وكل من لجأ اليه من الشعب
البيزنطى ، واصبحت نيقية هى المركز القومى للبيزنطيين والقاعدة السياسية
والمسكية التى انطلق منها ثيودور لياشر نشاطه ضد العدو اللاتينى الجاثم على
الأرض البيزنطية .

ولم يكن منتظرا من اللاتين أن يتركوا ثيودور يهنأ بوضعه الجديد فى آسيا
الصغرى ، فاستأنفوا الصراع ضده محاولين القضاء عليه . وقد انفرد المؤرخ
اللاتينى جيوفرى فيلهاردوين ببرد تفاصيل هذا الصراع الذى اشتعل بين اللاتين
من جهة وثيودور لاسكاريس من الجهة الأخرى . والجدير بالذكر أن المؤرخين
البيزنطيين لم يأتوا بشيء عن تفاصيل هذا الصراع ، وكذلك الغالية العظمى من
المؤرخين المحدثين مثل فازيليف واستروجورسكى وبريه وهسى ونيقول وولف وانجولد
وغيرهم كثير . لذلك فاننا ندين بالفضل فى معرفة تفاصيل هذا الصراع للمؤرخ
اللاتينى فيلهاردوين .

وقد بدأ الصراع بين الطرفين بعد تنويع هنرى — شقيق الامبراطور السابق
بلدوين — امبراطورا على عرش القسطنطينية فى ٢ اغسطس ١٢٠٦ فى كنية آيا
صوفيا ، اذ سارع بالالتفات الى شئون آسيا الصغرى ، وثيودور لاسكاريس .
وقد طمع هنرى فى أن يضم نيقية الى ممتلكاته ، لذلك فقد أرسل الى آسيا
الصغرى فى نهاية ١٢٠٦ قوة مكونة من ١٤٠ فارما ، وكان على رأسها بطرس أوف
بارميو Peter of Barcieux الذى منحه الامبراطور هنرى حق امتلاك Pigaws

(١) Miller: The Empire of Nicaea, PP. 481-482.

Nicol: The Fourth crusade and greek and latin Empires, P. 295

وشبه جزيرة قيقوس Cyzicus الواقعة على بحر مرمرة والتي ذكرها فيلهاردوين باسم Skiza ، وقد ساروا حتى بلغوا قيقوس ودخلها جيش الفرغ وقام بطرس بتحصينها ، وبنى بها قلعتين ووصف طريقين للدخول إليها⁽¹⁾ ، والحديث بالذكر أن هذه المدينة قد استحوذت على جانب كبير من الصراع بين اللاتين وثيودور لامسكاريس وذلك نظرا لاهتمام كلا الطرفين بها ، وكان اهتمام ثيودور بها طبعيا نظرا لأنها تعتبر المنفذ الطبيعي له على البحر ، على حين اهتم بها اللاتين لأنهم يهدون أن يحرموا ثيودور من هذا المنفذ البحري الذي يستطيع عن طريقه أن يهدد الممتلكات اللاتينية على الساحل الأوروي المقابل وعرقلة مرورهم عبر بحر مرمرة ، وليستفيدوا هم من موقعها الجغرافي . وقد قام اللاتين بمهاجمة أراضي ثيودور لامسكاريس ، ونهبوا الكثير من الغنائم والماشية ، وعادوا بها إلى قيقوس . ولكن ثيودور لم يسكت على هذا التخريب الذي ألحقه اللاتين بأراضيهم ، فطاردهم حتى وصل إلى قيقوس ، وهناك التحم الطرفان في معارك أسفرت عن خسائر جمة لكلاهما .

كذلك أرسل الإمبراطور هنري نائبه ويدعى Thierri of Loos إلى آسيا الصغرى بعد أن منحه مدينة نيقوميديا ، وهي على بعد يوم واحد من نيقية عاصمة لامسكاريس وقد وصل ثييري إلى نيقوميديا مع قوة من رجال الإمبراطور هنري ، وقام ثييري بتحصين كنيسة سانت صوفيا St. Sophia التي تقع خارج مدينة نيقوميديا وامتازت بالاتساع والجمال ، وقد اشتبك معهم ثيودور لامسكاريس أيضا محاولا انتزاعها من أيديهم⁽²⁾ .

وهكذا بدأ اللاتين في الضغط على ثيودور لامسكاريس من جديد محاولين القضاء عليه واستخلاص هذه المنطقة من آسيا الصغرى . وقد أدرك ثيودور أنه ليس يوسعه التصدي لهم ، وأنه لن يتقده إلا البلغار ، مثلما حدث من قبل ، لذلك فقد راسل قيصر البلغار جوهانيتزا وأخبره أن الإمبراطور هنري قد وجه كل

(1) Villehardouin: La conquete de Constantinople, P. 120.

(2) Villehardouin: Op. cit., P. 121.

قواته الى آسيا الصغرى من أجل القضاء على لاسكاريس ، وأن الامبراطور في القسطنطينية وليس لديه سوى عدد ضئيل من القوات ، وأن هذا هو الوقت المناسب للانتقام من اللاتين ، وطلب منه أن يتعاون معاً في الهجوم عليه ، بحيث يهاجمهم جوهانيتزا من الغرب من البلقان ، وثيودور من الشرق من آسيا الصغرى ، وبذلك يقع اللاتين بين فكي الكماشة^(١) .

وقد استجاب له جوهانيتزا ، وقام بجمع جيش ضخم من البلغار والكيومان والوالاش^(٢) ، وفي ٧ مارس ١٢٠٧ دخل الى الأراضي التابعة لللاتين في البلقان ، وأرسل جيشاً من الكيومان خربوا المنطقة حتى وصلوا الى بوابات القسطنطينية ذاتها ، أما هو ففرض الحصار على مدينة هادريا نوبل ، ونصب ٣٣ منجنيقا ضخما لذك الاسوار والابراج بالحجارة ، وقد أرسل سكانها من اللاتين واليونان الى الامبراطور هنري بعبوره بذلك ، وطلبوا التجدد العاجلة^(٣) .

وهكذا أخذت جوهانيتزا ، للمرة الثانية ، تغيراً في الاحداث ، وحول انتباه اللاتين من آسيا الصغرى الى تراقيا . للمرة الثانية أيضاً أرسل الامبراطور اللاتيني يستدعى قواته من آسيا الصغرى ليرسلها الى حرب البلغار ، فنفذوا أوامر الامبراطور وانسحبوا من مواقعهم باستثناء حاميات صغيرة قليلة العدد بقيت في الاماكن التي فتحها اللاتين .

وحينما علم ثيودور لاسكاريس بنجاح خطته وتخطيطه ، وحصار البلغار لهادريا نوبل ، وأن الامبراطور هنري تحت ضغط الحاجة قد استدعى رجاله لقتال البلغار ، وجد أن الفرصة مواتية لطرد النفوذ اللاتيني من آسيا الصغرى ، فجمع

(١) Villehardouin: Op. cit., P. 122.

(٢) اختلف المؤرخون حول اصل الوالاش Vlachs فبعضهم ينسبهم الى المستعمرين الرومان الذين استقروا في القرن الثاني الميلادي في منطقة الفوها ، على حين ينسب البعض الآخر الى البو الرعاة الذين يرجع أصلهم الى جوب نهر الدانوب . وقد لعب الوالاش دوراً بارزاً في عدد من الكيانات السياسية التي عرفت في العصور الوسطى ابتداء من القرن الثاني عشر وحتى نهاية القرن الرابع عشر ، كان أهمها الامبراطورية البلغارية الوالاشية حول نهر الدانوب (١٢٨٥-١٢٥٧) ، راجع :

The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization, U.S.A. 1980, P. 704.

كل ما استطاع جمعه من المقاتلين وسار الى قريغوس حيث اقام معسكره امامها ونشب القتال بين ثيودور ورجاله من جهة والحامية اللاتينية القليلة العدد والعتاد من الجهة الأخرى . وقد استمر ثيودور في حصاره لهذه المدينة ولكنه ارسل الجزء الأكبر من رجاله الى قلعة Cibotos حيث حاصروها برا وبحرا بعدد من السفن يبلغ الستة عشر سفينة حربية ، وذلك في يوم السبت ٣١ مارس ١٢٠٧ . وكانت الحامية اللاتينية بها مكونة من ٤٠ فارسا نشب القتال بينهم وبين رجال لاسكاريس ، وقد أرسلت الحامية اللاتينية على وجه السرعة للامبراطور هنرى الذى كان بالقسطنطينية ، يطلبون منه سرعة نجدهم^(١) .

وعلى الفور اتجه الامبراطور الى الشاطئ ، واعتل ظهر سفينة الحربية من نوع Galleon ، وقد حذا حذوه كبار رجاله الذين اعتلوا ما وجدوه امامهم من السفن ، وكان من بينهم المؤرخ جيوفرى فيلهاردوين ، الذى ذكر أن الامبراطور أمر أن يذاع في القسطنطينية أن يتبعه جميع القادرين على القتال ، فاختلط الجميع وهربوا جميعا من بنادقة وبيازنة ولاتين الى الميناء حيث اعتلوا ظهر السفن التى وجدوها امامهم ، وكان مجموع السفن التى خرج بها الامبراطور ورجاله ستة عشر سفينة ، وقد سارت السفن برجالها في طريقها لانتقاد قلعة Cibotos وقطعت المسافة من القسطنطينية اليها في يوم وليلة ، وبعد وصولهم اليها وجدوا رجال لاسكاريس وسفنه تحاصرها ، فاشتبكوا معهم في القتال ، وحسب رواية فيلهاردوين تمكن اللاتين من الاستيلاء على سفن لاسكاريس . ولكن البيزنطيين انتهزوا فرصة ظلام الليل وسحبوا سفنهم الى الشاطئ حيث احرقوها عن آخرها حتى لا يستفيد بها اللاتين ، ثم رفعوا معسكرهم وانسحبوا من أمام هذه القلعة . أما الامبراطور هنرى ، فقد تفقد القلعة في الصباح فوجدها في غاية الضعف ، وأنها عديمة الجدوى للاتين ، فسحب منها الحامية وعاد برجاله الى القسطنطينية^(٢) .

بعد عودة الامبراطور هنرى الى القسطنطينية ، تأهب للرحيل الى الجهة

(1) Villehardouin Op. cit., P. 123-124.

(2) Villehardouin Op. cit., P. 123-125.

البلغارية لتفقد احوال مدينة هادريانوبل بعد التخريب الذى الحق به قيصر البلغار جوهانيتزا . ذلك أنه استمر محاصرا لهذه المدينة طوال شهر ابريل ١٢٠٧ ، وأوشكت المدينة أن تقع في يده ، بعد أن دمر بعض اجزاء من سورها ، وقد التحم رجاله مع المدافعين عنها وتقاتلوا يدا بيد ، وقد ابدى المدافعون عنها شجاعة كبيرة في التصدي للبلغار وردهم عنها ، وكانت الحسارة كبيرة في كلا الجانبين نظرا لكثرة عدد القتلى والجرحى . لكن الأحداث تطورت وأدت إلى انسحاب جوهانيتزا من أمام هادريانوبل ، وتلخص هذه الأحداث في أن الكيومان المصاحبين لقيصر البلغار ، بعد أن عاثوا فسادا في أراضي البلقان ، وحصلوا على الكثير من الغنائم والأسلاب ، عادوا إلى جوهانيتزا أمام هادريانوبل واخبروه بعزمهم على الرحيل والعودة إلى بلادهم ، وعثا حاول أن يشبههم عن عزمهم ، فقد تركوه ورحلوا ، ولم يستطع جوهانيتزا البقاء بدونهم نظرا لانهم كانوا يكونون العدد الأكبر من رجاله ، فانسحب من أمام هادريانوبل وعاد إلى بلاده^(١) .

وهكذا اراد الامبراطور هنرى الذهاب الى هذه المدينة لتفقد احوالها بعد انسحاب البلغار من أمامهم ، وبعد الخراب والتدمير الذى الحق به اياها ولتأديب جوهانيتزا على ما ألحقه بها من الدمار . لكن الأنباء جاءتته بخطورة الموقف في آسيا الصغرى بسبب محاولات ثيودور لاسكاريس المتكررة لطرد الفوذ اللاتينى من هناك ، وفي ذلك الوقت قام ثيودور بمحاولة جديدة لحصار مدينة قزيقوس برا ، على حين قام قائد بحريته ويدعى Escursion على رأس اسطول مكون من ١٧ سفينة حربية بحصارها بحرا ، وقد اشتعلت ثورة الأهالى داخل قزيقوس مناهضين للحكم اللاتينى ومؤيدين لثيودور لاسكاريس وقاموا بمهاجمة حاكم المدينة اللاتينى بفرس ورجاله ، وانزلوا بهم خسائر فادحة في الأرواح^(٢) . ومعنى ذلك ان ثيودور لاسكاريس بدأ يكسب شعور وولاء اليونان وبدأ يلقي التأييد والمناصرة بعد أن اقتنعوا بأنه يقوم بالدفاع عن قضيتهم ضد اللاتين ، وبعد أن رأوا هزائم اللاتين أمام قوة البلغار .

(1) Ibid: P 126.

(2) Villehardouin: Op. cit., PP. 126 127

لذلك فقد أجل الإمبراطور هنري رحيله إلى هادريا نوبل للمرة الثانية ، وعقد مجلسا للتشاور مع باروناته والنبأذة أيضا ، واجتمعوا على ضرورة الإسراع لنجدة بخرس في قزيقوس وغادر الإمبراطور ورجاله القسطنطينية في ١٤ سفينة حربية وكان معهم أيضا المؤرخ جيوفري فيلهاردوين ، وقد اتخذوا طريقهم نحو قزيقوس . وحين علم قائد اسطول لاسكاريس بذلك انسحب من أمام قزيقوس باتجاه مضيق المللمبون ، وقد تبعه الثلاثين بسفنتهم يومين وليلتين ، قطعوا خلال هذه المدة مسافة ٤٠ ميلا ، ولكن لم يعثروا له على أثر فعادوا ادراجهم إلى قزيقوس ، التي انسحب ثيودور لاسكاريس من أمامها ، وعاد إلى أراضيه^(١) .

عاد الإمبراطور هنري إلى القسطنطينية وتأهب للذهاب إلى هادريا نوبل ، فجاءته الأنباء بهجوم ثيودور لاسكاريس على مدينة نيقوميديا ، وكانت هذه المدينة تتبع نائب الإمبراطور ثييري ارث لوس ، الذي أرسل رجاله إلى الإمبراطور هنري لكي يأتوا لنجدهم فاضطر الإمبراطور هنري إلى تأجيل رحيله إلى هادريا نوبل للمرة الثالثة ، واتجه إلى نيقوميديا ، وما أن علم ثيودور بذلك حتى رفع الحصار وانسحب إلى نيقية .

وقد عقد الإمبراطور هنري مجلسا وقرر أن يترك بعض رجاله في المواقع التي تم استيلاء اللاتين عليها ، فتقرر أن يستقر ثييري في نيقوميديا مع فرسانه وجنوده ، ويستقر Macaire of Sainte Menehold ورجاله في Charax أما William of Perchoi فيستقر بـرجاله في قزيقوس ويتولى كل واحد من هؤلاء حراسة أراضيه ، وعاد الإمبراطور هنري إلى القسطنطينية^(٢) .

وبمجرد وصول الإمبراطور للقسطنطينية جاءته الأنباء بتفاقم الأمور في آسيا الصغرى ، ذلك أن ثييري ووليم وعدد من رجالهم خرجوا للرعى ، ففاجأهم رجال ثيودور لاسكاريس وأوقعوا بهم ، وأسروا كثيرين منهم كان من بينهم ثييري بعد أن جرح في وجهه ، أما وليم فقد فر بعد أن جرح في ذراعه ، ولجأ هو ومن نجا منهم

(1) Ibid: P. 127.

(2) Villehardouin: Op. cit., P. 128.

الى كنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا حيث احتموا بها ، وارسلوا للامبراطور هنري من أجل تجديدهم ، خاصة وأن رجال ثيودور وعلى رأسهم شقيقه قد حاصروهم بها . فاضطر الامبراطور هنري تحت ضغط هذه الظروف أن يعود من جديد الى آسيا الصغرى ، وحينما سمع رجال ثيودور بذلك انسحبوا الى نيقية ، أما الامبراطور هنري فقد عسكر في ضواحي نيقوميديا ، وأرسل رجاله لنهب وتخريب اراضي ثيودور لاسكاريس . وبينما الامبراطور هنري في موضعه جاءه رسل ثيودور يعرضون عليه الهدنة لمدة سنتين ، على شرط أن يسمح الامبراطور هنري لثيودور بتدمير تحصينات مدينة قزيقوس — حتى لا يستفيد اللاتين بها — و تحصينات كنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا ، وفي المقابل يطلق ثيودور سراح من عنده من امري اللاتين⁽¹⁾ .

وقد تشاور الامبراطور هنري مع رجاله ، واتفقوا على قبول مقترحات ثيودور ، وعللوا قبولهم بأنه من الأفضل أن يفقدوا بعض التحصينات في آسيا الصغرى ، بدلا من أن يفقدوا مدينة هادريا نوبل وما جاورها من اراضي في البلقان ، وكذلك بقبولهم الهدنة مع لاسكاريس يأمنوا جانبه بدلا من أن يفتحوا على انفسهم جبهتين للقتال ، احدهما في البلقان مع جوهانيتزا ، والأخرى في آسيا الصغرى مع لاسكاريس ، بعد أن تحالف الاثنان معا وصار يساعد كل منهما الآخر ضد اللاتين .

وهكذا تم إبرام الهدنة بين ثيودور لاسكاريس والامبراطور هنري في ربيع عام ١٢٠٧ ، وتم تسليم قزيقوس وكنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا الى ثيودور الذي قام بتخريب حصونهما واستقرت الهدنة بين الطرفين⁽²⁾ .

وقد اعطت هذه الهدنة الفرصة لثيودور لكي يلتفت الى تنظيم شعونه الداخلية ، فقد اراد ثيودور أن يجعل من نيقية شيئا أكثر أهمية من مجرد مركز لحركة المقاومة ضد اللاتين وأن يجعل نفسه معترفا به كحاكم شرعيا على العرش البيزنطي ،

(1) Ibid: PP. 128-129.

(2) Villehardouin: Op. cit., PP 128-129.

فحتى ذلك الوقت كان ثيودور يكتفى بلقب الأمير Despot^(١) ، لأنه كان يدرك تماما ، انه لكي يتوج امبراطورا ، لابد أولا من وجود بطريك للكنيسة ، يتوجه ويباركه ، لذلك فاذ الخطوة الأولى أمام ثيودور كانت العمل على إيجاد بطريك للكنيسة نيقية يكون امتدادا لبطاركة القسطنطينية ، ويكون هو البطريك الرئيسي والشرعى للكنائس الأرثوذكسية في الشرق . وكان البطريك الأخير للكنيسة القسطنطينية يوحنا كاماتيروس قد فر عقب سقوط العاصمة في يد اللاتين في ١٢٠٤ الى بلغاريا — كما سبق أن اشرنا الى ذلك — وظل بها . وقد ارسل اليه ثيودور لامسكاريس طالبا منه أن يأتي الى نيقية ، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك بسبب مرضه ، ثم لم يلبث أن توفي في ١٢٠٦^(٢) . وقد جمع ثيودور كل من استطاع جمعه من رجال الدين في نيقية ، ودعاهم لاختيار بطريك ، وقد وقع اختيارهم في مارس ١٢٠٨ على ميخائيل اوتوبيانوس Michael Autorianus ، لينتول كرمى البطريكية (١٢٠٨-١٢١٢) ، واتخذ اسم ميخائيل الرابع ، وأقام في نيقية واتخذ لقب البطريك المسكوني للقسطنطينية ، وأصبح الرأس الشرعى الوحيد للكنائس اليونانية الأرثوذكسية .

وقد قام البطريك بتتويج ثيودور لامسكاريس امبراطورا في الاسبوع الثالث من الصيام الكبير Lent ، وبارك الامبراطور ومسحه بالزيت خلال اسبوع الآلام Holy Week في عام ١٢٠٨^(٣) .

وهناك اختلاف في الرأي حول التاريخ الذى توج فيه ثيودور الأول لامسكاريس امبراطورا . فالمؤرخ البيزنطى نقيتاس خونيائيس ذكر أن التتويج تم في عام ١٢٠٥^(٤)

(1) Miller: The Empire of Nicaea, P. 479.

Ostrogorsky: Op. cit., P. 428, F.N. 2.

(2) Choniates: Historia, II, P. 837

Georgi Acropolites opera, I, P. 11.

Nicod: The Fourth crusade, in C.Med.H., Vol I; Ved Hussey P. 293.

(3) Angold: The Byzantine Government in Exile, P. 43. Vasiliev: Op. cit., II, P. 511.

Ostrogorsky: Op. cit., P. 419.

(4) Georgi Acropolites opera, ed Heisenberg, II, P. 18.

Nicod: The Fourth crusade, P. 293.

Vasiliev: Op. cit., PP. 511-512.

Ostrogorsky: Op. cit., P. 428.; Whitting: Byzantium, P. 114.

على حين ذكر المؤرخ اكروبوليتس أن التتويج تم في عام ١٢٠٨^(١) . لكن الثابت أن اختيار بطريك نيقية كان في مارس ١٢٠٨ ، وقد تم تتويج ثيودور امبراطورا على يد البطريك ، لذلك فالأصح هو ما ذكره اكروبوليتس من أن التتويج تم في مارس عام ١٢٠٨ .

وهكذا تم احياء الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى في نيقية ، وأصبح للبيزنطيين امبراطورا وبطريكا شرعيين هما امتدادا للسلطين العلمانية والكليركية في بيزنطة ، واصبحت نيقية نقطة تجمع جديدة وأمل جديد في استرجاع العاصمة الأم القسطنطينية .

وكما سبق أن أوضحنا ، كان قد تم اختيار ثيودور لاسكاريس امبراطورا على اليونان في كنيسة القسطنطينية ، ولكن مراسم التتويج والمسح بالزيت بواسطة البطريك ، احاطته بها له من القداسة ، ومنحت وظيفته كل الفخامة الامبراطورية ، وأصبح يعتبر الامبراطور الشرعى الوحيد للبيزنطيين واصبح اللقب الرسمى لثيودور هو :

“Theodorus, in christo Deo fidelis, Imperator et Maderator Romeorum et Semper Augustus, Comnenus Lascarus”.

وترجمته باللغة العربية كما يلى :

« ثيودور ، المؤمن بالمسيح الرب ، امبراطور الرومان وحاكمهم ، وصاحب الجلالة على الدوام ، لاسكاريس كومنينوس ٢٢ » .

واصبح التوقيع الرسمى لثيودور على الوثائق الرسمية بالخبر الاحمر هو « الباسيليوس المقدس ، والأتوقراطور الرومانى » . وهو نفس توقيع الاباطرة البيزنطيين السابقين^(٢) .

وقد احيا ثيودور لاسكاريس جميع النظم والتقاليد البيزنطية العريقة ، التى

(1) Nicetas choniates: Historia, ed. Bunn, P. 828.

(2) Angold: A Byzantine Government in Exile, P. 37

وجدت تعبيرها الرمزي في شخصى الامبراطور والبطرك . وفي مجال الادارة والخدمات المدنية والبلاد الامبراطورية والنظم العسكرية ، بل وفي ميدان السياسة الخارجية أيضا ، اعيد احياء كل ذلك من جديد على نفس الاسس البيزنطية العريقة^(١) .

وكان ثيودور يعتقد اعتقادا راسخا بأنه بعد سقوط القسطنطينية في يد اللاتين عام ١٢٠٤ ، انتقلت النظم والتقاليد البيزنطية العريقة الى نيقية ، حيث اجلس الله برحمته امبراطورا على العرش بها ، واصبح لزاما على الامبراطور — مثله مثل موسى من قبل — أن يقود شعبه ويحرره من الاسر ، وأن يستعيد وحدة اراضي الامبراطورية .

ويظهر ذلك بوضوح في هذه الفقرة التى جاءت في خطبة العرش التى القاها ثيودور لاسكاريس بعد تنصيبه ، والتى جاء بها ما يلى :

« سلطنى الامبراطورية ، ووضعت بفضل السماء ، كوالد للدولة الرومانية العالمية ، ارادة الله امدتنى بالقوة ، وحدة الامبراطورية تستلزم وحدة الكنيسة ، قطيعا واحدا وراعيا واحدا »^(٢) .

وقد أدت هذه الاجراءات التى اتخذها ثيودور لاسكاريس في نيقية ، الى اشتعال الصراع بينه وبين سلطنة قونية Iconium السلجوقية التى كان يدين لسلطانها الجزء الأعظم من آسيا الصغرى ، ذلك أن اتخاذا ثيودور لاسكاريس لنيقية عاصمة له ومركزا للامبراطورية المنفية ، قد أحيى الصراع البيزنطى السلجوق القديم بعدما وجد عائقا هاما امام التوسع السلجوق غير باقى اتجاه ساحل البحر

== عن كل هذه الحالات وانضم الى سلطنة عليها امبراطورية نيقية البيزنطية ، وجمع الكتاب الثانى الذى ينشر مرجعا هاما في هذا الموضوع :

- (1) Angold: A Byzantine Government in Exile, Government and Society Under the Laaskarids of Nicaea, 1204-1261, Oxford University Press, 1975.
Glykatzis-Ahrweiler: "La politique agaire des Empereurs de Nicée", dans la Revue de (Byzantion), tome XX VIII, Bruxelles, 1958. PP. 51-66.
- (2) Vasiliev: Op. cit., Vol. 2, PP. 513-14.
Angold: Op. cit., P. 13.

الايحي . أضف لذلك أن تتويج ثيودور لامسكاريس امبراطورا في نيقية جعل والد زوجته وهو الامبراطور السابق ليزنطة اليكسيوس الثالث انجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣) يفر الى السلطان السلجوقي ، ويسأله أن يعاونه على استرداد عرشه المفقود ، وابعاد ثيودور عن عرش نيقية ليحل هو أى اليكسيوس ، محله امبراطورا على الشعب البيزنطى .

وقد ارسل السلطان السلجوقي يتوعد ثيودور إن لم يتأزل عن عرشه لمحبه اليكسيوس ، وقد قرب العداء لثيودور ومحاولة تدميره بين كل من اللاتين والسلاجقة ، وجعلهما حليفان بعيان معا للقضاء عليه ، وقد توسط البنادقة بين الامبراطور هنرى وبين سلطان سلاجقة الروم ويدعى غياث الدين كاي خسرو الاول ، وتم عقد اتفاقية سرية بين الطرفين في عام ١٢٠٩ وبناء عليه أمد الامبراطور اللاتينى السلطان السلجوقي بقوات من اللاتين حاربت الى جانبه ضد ثيودور^(١) .

وقد قام السلطان السلجوقي بالتعدى على أراضى ثيودور لامسكاريس ، ولم يكن ثيودور بالذى يرضى بهذا التعدى ، فاشتعلت معركة ضارية بين الطرفين في ربيع عام ١٢١١ بالقرب من انطاكية على شاطئ نهر المياندر ، وكان جيش ثيودور يتكون من عشرين ألفا من بينهم ثمانمائة فارس من اللاتين المرتزقة الذين وقع عليهم البابا اينوسنت الثالث قرار الحرمان لتعاونهم مع البيزنطيين المنشقين^(٢) . وقد اظهروا شجاعة فائقة وانزلوا خسائر فادحة بالأتراك ، ولكن الغالية العظمى منهم سقطت قتل في ميدان المعركة ، وقد اشتبك ثيودور في معركة منفردة مع السلطان السلجوقي ، قتل اثناءها السلطان ، ودخل ثيودور مدينة انطاكية منتصرا ، أما الامبراطور السابق اليكسيوس انجيلوس فقد تم اسره واجبر على التهرب ، وقضى البقية الباقية من حياته في دير Hyakintos في نيقية^(٣) .

(1) Gregoras: Historiae Byzantinae. I, PP 17-18.
Ostrogorsky: Op. cit., P. 429.
Nicol: Op. cit., P. 295.

(2) Miller: The Empire of Nicaea, P. 484.

(3) Georgu Acropolitae opera, I, P 17.

والواقع أن هذه المعركة لم تعطى ثيودور تغييرات اقليمية كبيرة ، ولكن نتائجها الأدبية والمعنوية كانت عظيمة القيمة ، فقد أكدت أن الامبراطورية الناشئة قد أحييت التقليد البيزنطي القديم الخاص بالنضال ضد المسلمين ، واهلرت أولى انتصاراته ، كما كان من نتائجها كذلك الزام اليونان الباقين على قيد الحياة والمطالين بالعرش الامبراطوري البيزنطي بالصمت . كما ملأت بالفرح والحماس قلوب الشعب البيزنطي ليس فقط في آسيا الصغرى ، ولكن في أوروبا كذلك ، الذين نظروا الى نيقية على أنها مركزهم ونقطة تجمعهم .

وقد توصل السلطان السلجوقي الجديد الى التفاهم مع ثيودور ، ونشأت بينهما علاقات ودية ، وبذلك ضم ثيودور جانب الاتراك السلاجقة الذين يعتبرون اقرب جيرانه ، وبدأ يوجه انتباهه من جديد نحو امتشاف النضال ضد اللاتين .

وقد ارسل ثيودور بعد انتصاره على السلاجقة رسائل الى كل الأقاليم اليونانية ، اذاع فيها انتصاره ، وطلب منهم بذل المساعدة له بوصفه امبراطورهم الشرعى ، ووعدهم اذا امره بالمساعدة فانه سوف يأت اليوم الذى يحررهم فيه ويحرر اراضيهم من هؤلاء (اللاتين الكلاب)⁽¹⁾ .

وقد قام ثيودور بمحاولة للاستيلاء على العاصمة القسطنطينية بعد أن شجعه هذا الانتصار ورفع روحه المعنوية ، فحاصرها باسطوله وهاجمها ، غير أن هذه المحاولة لم تنجح ، لأن امبراطورية نيقية كانت لاتزال حتى ذلك الوقت ، محدودة الامكانيات سواء من الناحية العسكرية أو المادية أو البشرية . وقد نقل الامبراطور اللاتينى هنرى المعركة الى ارض آسيا الصغرى نفسها حيث ممتلكات ومقر ثيودور لاسكاريس ، وخاض ضده معركة على ضفاف نهر Rhyndacus غير بعيد عن بروسا ، وذلك في ١٥ أكتوبر ١٢١١ وحرر هنرى الانتصار ، وتقدم جنوبا واستولى على مدينتي Pergamum et Nymphaeum وبعض المواقع الأخرى⁽²⁾ . وقد ارسل

(1) George A. Spatharakis, op.cit., P. 77

(2) Recueil des Chartes et de la topographie, éd. Boissier, ci-dessus citées, Paris, 1879, PP. 511-513

هنرى من برهاموم فى بداية عام ١٢١٢ . خطابا وجهه « الى جميع الأصدقاء » جاء فيه : « أن العدو الأول والأكبر هو لاسكاريس الذى استولى على كل الأرض بخوار شاطيء سان جورج (مضيق البسفور) حتى حدود الأتراك ، وظهر كامبراتور ، وهو غالبا يهاجمنا من هذا الاتجاه ... لقد جمع لاسكاريس عدد كبير من السفن الحربية لكى يستولى على القسطنطينية ، علاوة على أن المدينة ترتعب فى خراب عظيم الى حد أنهم يأمنوا من عودتنا (من آسيا الصغرى) . كثيرين من شعبنا خططوا للفرار عبر البحر ، وعدد عظيم عبروا البحر الى لاسكاريس ووعدهو بالمساعدة ضدنا ... جميع اليونان تدمروا ضدنا ووعدهو لاسكاريس بالمساعدة ، اذا ما جاء لقتال القسطنطينية » .

وقد انتهى الخطاب بنداء موجه لللاتين من أجل مساعدة هنرى « لاحتراز الانتصار الثام وامتلاك امبراطوريتنا محتاج الى عدد كبير من اللاتين نستطيع أن منحهم الأرض التى نكسبها ، والتى اكسبناها بالفعل ، لأنه كما تعلمون ، ليس كافيا اكساب الأرض ولكن يجب أن يكون هناك من يستطيع أن يحافظ عليها » (١) .

ويظهر بوضوح من خلال هذا الخطاب أن هنرى يعتبر ثيودور لاسكاريس عدوه الأساسى الذى يرغب فى تدميره والقضاء عليه . كذلك يتضح من هذا الخطاب أن ثيودور أصبح هو الجانب الأقوى ، بدليل أن اللاتين أنفسهم بدأوا يتحازون اليه ويتضمنون الى جانبه ، بالإضافة الى اليونان أيضا الذين رأوا فى ثيودور رجل الساعة الذى التفوا حوله لكى يخلصهم من اللاتين ويعيد اليهم أرضهم المملوكة وحقوقهم المضيع . كذلك يتضح من هذا الخطاب أن هنرى يريد المزيد من اللاتين من أجل توطيئهم واستقرارهم فى الأراضى التى يم له فتحها واغصابها من ثيودور حتى يصبح للعنصر اللاتينى التفوق والغلبة فى هذه المنطقة .

(1) Recueil des historiens des Gaules et de la France, ed. Bouquet, dixième édition, 1879, pp. 530-533.

لكن جهود هنرى ذهبت ادراج الرياح ، ولم يجد أى استجابة من الغرب الأوروى ، وفي النهاية تم عقد اتفاقية بين هنرى وثيودور لاسكاريس في مدينة Nymphaeum في ديسمبر عام ١٢١٤ تم بمقتضاها تحديد الحدود بين الطرفين ، فاحتفظ اللاتين بالركن الشمالى الغربى من إقليم بيثينيا ، أى انهم اكسبروا شريطا ساحليا آسيويا لبحر مرمره ورقعة هامة ممتدة على طول البحر الايجي ، واصبحت مدن Nicomedia, Cyzicus, Pega, and Adramyttium .

أما الجانببقى فقد أخذ نيقية ، بروسا ، والأقليم الواقع خلف Adramyttium ويمتد حتى Smyrna . وترك لنيقية حرية امتلاك أية اراضى جديدة على حساب السلطنة السلجوقية ، أو على حساب الجيران الآخرين . كذلك نص على عدم حصار القسطنطينية بحرا بواسطة اسطول ثيودور لاسكاريس^(١) .

وهكذا اعترف كل من الامبراطورين اللاتينى هنرى واليونانى ثيودور بحق كل منهما فى البقاء ، ووافقوا على محاولات تدمير كل منهما لمنافسه ، ونشأ توازن فى القوى فى هذه المنطقة . وقد بدأ ثيودور يلتفت الى اعدائه الآخرين المجاورين له فى آسيا الصغرى ، ونتيجة للسلام البقى اللاتينى كان انهار قوة آل كومنين على شواطئ البحر الأسود .

ذلك أن دافيد كومنين الذى كان قد أصبح فصلا لامبراطور القسطنطينية اللاتينى وبالتالي تحت حمايته ، قد ترك بعد هذه المعاهدة بين هنرى وثيودور ، لموارده الخاصة وللاعتداع على نفسه دون مساعدة الامبراطور اللاتينى . وهكذا أصبح غير قادر على الوقوف وحده فى وجه امبراطور نيقية . وفى نفس عام ١٢١٤ ، استولى ثيودور لاسكاريس على كل ما يمتلكه آل كومنين غرب سينوب بالإضافة الى هرقلية واماستريس Amastris وبذلك بدأ نفوذ ثيودور لاسكاريس يظهر على الساحل الجنوبى للبحر الأسود ، بعد أن أوجد لنفسه منفذا على هذا البحر ، وهذا بطبيعة الحال لم يرض السلاجقة الذين دخلوا فى صراع مع آل

(١) George Acropolitas opera, PP. 27-28.
Brehier, Vie et mort de Byzance, PP. 308-309.
Ostrogorsky, Op. cit., P. 430

كومنين واحتلوا سينوب ، وهزموا وقتلوا دافيد ، وأسروا شقيقه اليكسيوس ، وعندئذ أعادوه على عرش طرابزون . فصلا لسلطان قونية المسلح يدفع له الجزية السنوية⁽¹⁾ .

وفي أغسطس عام ١٢١٩ عقد لامسكاريس هدنة لمدة خمس سنوات مع الحاكم البندقى بالقسطنطينية The Padesta of the Venetian Colony of Constantinople ويدعى يعقوب تيبولو Jacob Tiepolo الذى خلف هنرى داندولو بعد وفاته في عام ١٢٠٥ ، احيا بمقتضاها التقليد البيزنطى القديم الخاص باعفاء التجار البنادقة من دفع الرسوم الجمركية في اراضي امبراطورية نيقية وفتح الحدود بين الطرفين للتجارة ، وتعهد ثيودور بعدم حصار القسطنطينية بحريا⁽²⁾ .

وهكذا عادت الهدنة بين هنرى وثيودور بالفائدة على امبراطورية نيقية التى تمتعت اثناء هذه الهدنة بالامتقرار والرخاء ، بينما اخذت امبراطورية القسطنطينية اللاتينية في التدهور والاضمحلال ، وخاصة بعد وفاة الامبراطور هنرى في عام ١٢١٦ .

وقد وجد ثيودور لامسكاريس أن محاولاته العسكرية لم تفلح في استرداد العاصمة القسطنطينية من يد اللاتين ، لذلك لجأ الى طريق آخر عله يحقق بواسطته ما عجزت القوة العسكرية عن تحقيقه ، ودل هذا على سعة ادراك وحسن سياسى ممتاز ، فقد تجاوز ثيودور حاجز العداء السياسى بينه وبين اللاتين ، ولجأ الى طريق المصاهرة مع الأسرة الحاكمة في القسطنطينية ، حتى يؤول الى اسرته عرش بيزنطة عن طريق الميراث في يوم ما ، وهو ما يطلق عليه اسم (زواج التحالف) Intermarry .

وتفضيل ذلك، انه بعد وفاة الامبراطور اللاتينى هنرى في عام ١٢١٦ ، وقع اختيار البارونات على زوج شقيقته بطرس اوف كورتناى Peter of Courtenay الذى كان

(1) Ostrogorsky: Op. cit., P. 413.
Nicol: Op. cit., P. 300-301

(2) Ostrogorsky: Op. cit., P. 431
Nicol: Op. cit., PP. 300-301

حينئذ بفرسا ، ليحل محله على عرش القسطنطينية ، وفي بداية عام ١٢١٧ خرج بطرس من الأراضي الفرنسية في طريقه الى القسطنطينية ، وتوقف في روما ليستلم تاجه من البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧) الذي توجه في سان لورنزو خارج اسوار روما في ٩ ابريل ١٢١٧ ، وبعد ذلك اتخذ طريقه الى القسطنطينية عن طريق البر مصحوبا بالمندوب البابوي وجيش مكون من ٥٥٠٠ جنديا ، اما زوجته يولاند Yoland فقد وصلت رحلتها الى القسطنطينية عن طريق البحر ، ونجح بطرس وجيشه في استعادة ديرايخيم Dyrrachium من ثيودور دوقاس حاكم ايروس ، وواصلوا سيرهم برا الى القسطنطينية ، لكنه لم يقدر لبطرس أن يصل الى القسطنطينية ، حيث انه اختفى في الطريق ، بينما وصلت زوجته يولاند للقسطنطينية ، وهناك واجهتها مشكلة الحكم ، وقد رفض ابنها الأكبر ويدعى فيليب أن يترك فرنسا ، أما ابنها الثاني بلدين فكان صغير السن قال العرش اليه وحكمت يولاند كوصية عليه لمدة ستين . وكان ليولاند اثنان تزوجت احدهما وهي Agnes من جيوفري فيلهاردوين الثاني وريث عرش مملكة أخيا ، وقد وجدها ثيودور لاسكارس فرصة مناسبة ليتزوج ابنتها الثانية ماري Mary ، وخاصة وأنه كان بلا زوجة بعد انفصاله عن زوجته الثانية^(١) . وبالفعل تم زواجه للمرة الثالثة من ماري ابنة يولاند ، وابنة اخت أول امبراطورين لاتينيين توليا عرش القسطنطينية^(٢) .

وهكذا ارتبط ثيودور لاسكارس برابطة المصاهرة مع البيت الحاكم في القسطنطينية ولم يكتف ثيودور بذلك وإنما سعى لزواج ابنته من امبراطور القسطنطينية ذلك أن بلدين تولى العرش بعد وفاة والدته في عام ١٢١٩ باسم

(١) الزوجة الثانية لثيودور الأول لاسكارس كانت إحدى الامرات الارمنيات . ولكن الزواج لم يستمر سوى عام واحد وانتهى بالفراق . راجع :

Georgii Acropolitae opera, P. 27.

(2) Georgii Acropolitae opera, PP. 27, 31.

(٣) حكمه : روبرت زوك كورنيلي من ٢٢١ - ١٢٢٠ . ثم عاد لبعضه الثاني فحكم من ١٢٢٨ - ١٢٦١ وهو

بالمدين الثالث ، وحكم حتى عام ١٢٢١ ، ثم تولى الحكم شقيقه روبرت أوف كورتناى Peter of Courtenay فى ٢٥ مارس عام ١٢٢١^(١) . وقد سعى ثيودور لاسكاريس لزواج ابنته Eudocia من روبرت أوف كورتناى ، وظلت المفاوضات جارية بين الطرفين بشأن هذا الزواج حتى حالت وفاة ثيودور فى عام ١٢٢٢ دون اتمامه .

وهكذا وضعت الخاتمة لحياة هذا البطل الذى قدر له أن يشهد مرارة الظروف . وصعوبة الموقف الخاص بسقوط القسطنطينية فى يد الغزاة اللاتين .

== حرر مياطور لاسكاريس بنون عمرته القسطنطينية . علما بان حداثى يرى حكمه ناتبا عن بلعيرى فى الفترة ١٢٣١-١٢٣٧ . خج

(1) Ostrugosky op cit P 307

الخاتمة

استعرضنا على امتداد هذا البحث ، الدور الذى لعبه ثيودور الأول لاسكاريس وجهوده العسكرية والسياسية من أجل الصمود في وجه اللاتين ، ومقاومتهم ، واتخاذهم لبروسا ثم نيقية مركزا لجمع العناصر البيزنطية المشتقة ، وقاعدة لنضال الشعب البيزنطى ضد المغتصبين اللاتين .

وفى تقييم الدور الذى لعبه ثيودور لاسكاريس ، يمكن القول أنه لم يدخر جهدا عسكريا أو سياسيا في سبيل العمل على استرجاع العاصمة القسطنطينية من يد اللاتين . ويدين البيزنطيون لثيودور ، وباعتراف مؤرخهم ، باحياء الامبراطورية البيزنطية من جديد ، رغم الصعوبات الجمة التى قابلها ، ورغم تعدد الأعداء المحيطين به . وفى وسط هذا كله ، اكتسب الاعتراف به كزعيم للهللينية . وقد ارسى ثيودور القواعد الأساسية للحكم في نيقية ، تلك القواعد التى سار عليها خلفاؤه من بعده حتى تمكنوا من استعادة العاصمة الأم في عام ١٢٦١ .

فنحن حيث اختيار المكان الذى يشغله مركزا وقاعدة لحركة المقاومة ضد اللاتين ، كان هو الذى اختار مدينة نيقية في آسيا الصغرى ، وكان هذا الاختيار مناسباً وموفقاً للغاية نظراً لقرب نيقية من العاصمة القسطنطينية ، مما هيا لها اقلاق راحة الامبراطور اللاتينى ، وجلب له المتاعب المستمرة على النحو الذى سبق أن تعرضنا له ، وهياً للبيزنطيين سرعة الحركة حينما سنحت لهم الظروف لاسترداد العاصمة القسطنطينية في عام ١٢٦١ بخلاف الحال اذا ماكان وقع اختيار ثيودور على مكان آخر بعيد .

ورغم صعوبة الظروف وقلة الموارد إلا أنه تمكن من اعداد وتنظيم جيشا واسطولا كانا اساسا للقوة العسكرية لامبراطورية نيقية البيزنطية ، تلك القوة التى احرزت الانتصار على الأعداء سواء في عصر ثيودور نفسه أو في عصور ما تلاه من اباطرة .

وقد حاول ثيودور بقدر المستطاع أحياء النظم العسكرية البيزنطية التي وجدت في القرن الثاني عشر الميلادي ، واعتمد على الجنود المرتزقة كمعادة البيزنطيين دائما ، فاستعان بالجنود المرتزقة من عناصر الجرمان ، الأتراك ، الأرمن ، بل ومن اللاتين انفسهم^(١) .

ومن الصعب تقدير عدد الجيش في عهد ثيودور ، وأن كان يفهم مما أورده المؤرخان الكردبوليتيس وجريغوراس ان عدد الجيش النقي في معركة انطاكية مع السلاجقة في عام ١٢١١ كان حوالي العشرين الفا ، منهم ثمانمائة فقط من المرتزقة اللاتين^(٢) .

وفي بداية عهده كان يعهد بقيادة الجيش الى أحد الاشخاص المقربين اليه ، ولكن في الغالب كان ثيودور يقود الجيش بنفسه ، كما فعل في معركة انطاكية مع الأتراك السلاجقة وغيرها من المعارك مع اللاتين^(٣) .

وفي أواخر عهد ثيودور لاسكاريس بدأ يظهر منصب الدمستق الأعظم ، وعهد به الى اندرونيكوس باليولوجوس Andronikos Palaiologos وهو والد الامبراطور سيخايل باليولوجوس ، وقد استمر اندرونيكوس في هذا المنصب حتى وفاته في عام ١٢٤٧^(٤) .

أما عن الاسطول فقد حاول ثيودور تكوين اسطول لنيقية منذ البداية ، وقد جمع ثيودور اسطولا صغيرا كان مقره بحر مرمرة ، وفي البداية كان لا يزيد عن ١٢ مركبا Vessel ، وبالطبع كان محدود النشاط ، ثم استطاع ثيودور بعد ذلك أن يجمع اسطولا مكونا من سبعة عشرة سفينة Galleys ، وعهد بقيادته الى Escursion الذي كان قائد للأسطول في عهد الامبراطور اسحاق الثاني النجيلوس^(٥) .

(1) Georgii Acropolitae opera, I, P. 16, 11, PP. 6-8, 16-20.

Gregoras: Historiae Byzantinae, I, P. 18, 11, PP. 17-18.

(2) Georgii Acropolitae opera, I, P. 116, 11, PP. 6-8, 16-20.

Gregoras: Hist. Byz. I, P. 18, 11, PP. 17-20.

(3) Georgii Acropolitae opera, I, P. 29, 11, PP. 4-5.

(4) Gregoras: Historiae Byzantinae, I, P. 69, 11, PP. 11-12.

(5) Nicetas choniates: Historia, PP. 636-637.

وقد جاء ذكر للاسطور النقي في عهد ثيودور لاسكاريس في المعاهدة التي أبرمت بينه وبين اللاتين في عام ١٢١٤ ، وفي الاتفاقية التي وقّعت بينه وبين البنادقة في عام ١٢١٩ ، وكان بهما نصا خاصا بعدم مهاجمة أو حصار اسطول ثيودور لمدينة القسطنطينية على النحو الذي تم توضيحه من قبل . وكان هذا الأسطول هو نواة الأسطول الكبير الذي امتلكته امبراطورية نيقية البيزنطية في عهدها التالية ، والذي احرز الانتصارات البحرية في عهد يوحنا فانتانيس (١٢٢٢-١٢٥٤) خليفة ثيودور الأول وزوج ابنته امين ، تلك الانتصارات التي اسفرت عن الاستيلاء على العديد من الجزر الهامة في البحر الابحري مثل جزر لسوس ، خيوس ، ساموس ، ايكاريا ، كوس وغيرها ، وادخلها تحت سيادة امبراطورية نيقية البيزنطية^(١).

هذا وقد آمن ثيودور ايمانا عميقا بقيمة الكهنوت كقوة سياسية وقومية ، لذلك فقد اسس البطريركية في عاصمته نيقية ، وأيد جهود البطريرك من أجل اتحاد الكنائس اليونانية . وقد اثمرت جهوده في هذا المجال ونظر الى امبراطورية نيقية من جانب العناصر الموجودة في شبه جزيرة البلقان كورثة لبيزنطة ومركز الازنودكية ، وعلى سبيل المثال ، فقد تجاهل سافا Sava ابن ستيفن فيمانيا Steven Nemanja ابرشية اونخريدا Ochrida التي تخضع لها الكنيسة الصربية ، واتجه الى نيقية ، وفي عام ١٢١٩ رعه بطريرك نيقية رئيسا لاساقفة الصرب^(٢) . وهكذا اصبحت لبطريركية نيقية وبطريركها المكانة الأولى في الضلوات في الكنيسة الصربية وكان هذا علامة ظاهرة على نمو الاحترام لامبراطورية نيقية البيزنطية .

وقد حرص ثيودور على أن تتم مراسم تنويجه في نيقية على يد البطريرك ، وبذلك اكتسب الصفة الشرعية للحكم ، خاصة وأن رجال الدين البيزنطيين ، وعلى رأسهم بطريرك القسطنطينية كانوا قد سبق لهم أن اختاروه امباطورا شرعيا قبل سقوط القسطنطينية في يد اللاتين في عام ١٢٠٤ . وبذلك أضفى ثيودور على

(1) Georgii Aetropolitae opera. I, 88, 11, 12-14.

Gregoras: I, PP 28-29.

(2) Ostrogorsky: Op. cit., P. 431.

خلفائه من اباطرة بيقية هذه الصفة الشرعية ، « اعتبرهم الشعب البيزنطى الاباطرة
الرسميين لهم وذكرهم المؤرخون البيزنطيين في قائمه الاباطرة البيزنطيين مثلهم مثل
الاباطرة الذين حكموا في بيزنطة نفسها ، ودلت بخلاف اباطرة طرابيزون
أوايروس

وقد اعجب الفرنجة بشجاعة ثيودور ومهارته العسكرية والسياسية ، فقد كان
يمتلك الجرأة في كلا المجالين ، واستفاد من فرص ضرب عنصر بآخر كما فعل مع
البغار واللاتين ، واستخدم البغار لخدمة نضاله ضد اللاتين وتحريكهم في الوقت
المناسب لهذا الغرض .

والمعروف أن الامبراطور ميخائيل باليولوجوس هو الذى استرد القسطنطينية في
عام ١٢٦١^(١) ، ولكن الفضل في استرداد القسطنطينية في عام ١٢٦١ لا يرجع الى
ميخائيل باليولوجوس وحده ، فلا يمكن بأى حال من الأحوال اغفال جهود اباطرة
بيقية السابقين له ، وخاصة مؤسسها ثيودور الأول لاسكاريس . وكما هو معروف
فان استعادة القسطنطينية في عام ١٢٦١ لم يكن بناء على حرب خاضها ميخائيل
باليولوجوس ، وإنما كانت بدافع من الشعور القومى للقوة الاكتشفانية الصغيرة
التي كلفت برصد حركات البغار ، فوجدت امكانية استرداد العاصمة الأم فلم
يتوان أفرادها عن القيام بواجبهم في هذا الصدد^(٢) ، وكان الشريك والدافع الأول لهذه
القوة الصغيرة هو الشعور القومى الذى حافظ عليه ونماه ثيودور الأول لاسكاريس
وليس بناء على أوامر عسكرية صدرت اليها من الامبراطور ميخائيل باليولوجوس
لاسترداد العاصمة ولو لم يحافظ ثيودور على هذه الروح القومية ويعمل على تنميتها
واجباها التقاليد البيزنطية العريقة ، ويرسى قواعد الحكم في بيقية على أساس رفع راية
النضال ضد اللاتين ، لانتهت القضية البيزنطية وانلذت بعد أن خرجت امارتنا

(١) Vasiliev: Op. cit., Vol. II, P. 507

Brehier: Vie et mort de Byzance. PP. 318-321.

Ostrogorsky: Op. cit., PP. 448-449.

(2) Nicot: The Fourth Crusade and the Greek and Latin Empires, 1204-1261. PP. 327-328.

Ostrogorsky: Op. cit., P. 449.

Brehier: Vie et mort de Byzance. PP. 320-321

أبيروس وطرايزون من حلبة الصراع حول استرداد القسطنطينية من يد اللاتين ،
وشغلنا بمشاكلهما المحلية عن تحقيق هذا الهدف القومي

وهكذا يمكننا القول ، ونحن مطمئنون تماما ، أن امبراطورية نيقية البيزنطية ،
كانت بمثابة الجسر الذي عبر عليه الشعب اليوناني الأرثوذكسي ، من عصر
السقوط في عام ١٢٠٤ الى عصر الاسترداد في عام ١٢٦١ ، من عصر الأنهار الى
عصر لقوة ، من عصر الهزيمة الى عصر الانتصار ، من عصر الغربة والضياع
والشرد ، الى عصر الامان والانتفاء والاستقرار في أحضان الأم الحبية
القسطنطينية .

وما لاشك فيه أن الفضل في ذلك كله يرجع والى حد كبير الى مؤسسها
ثيودور الأول لاسكاريس ، الذي استحق عن جدارة هذه الكلمات الصادقة التي
رثاه بها في حفل تأبينه ، الشاعر المؤرخ ورجل الدين ميخائيل اكوميناتوس ، تلك
الكلمات التي توضح بجلاء مكانة ثيودور لاسكاريس في نفس ووجدان الشعب
البيزنطي ، قال اكوميناتوس (١) :

ه هاجم البرابرة العاصمة بعنف ، واغرقوا اسوار بيزنطة حتى شواطئ آسيا
الصغرى في شكل شطى يائس . وقد تسلمت بك من أجل الأرشاد والأنقاذ .
أنت يجب أن تسمى الى الأبد ، المؤسس الجديد ، والمعمار لمدينة قسطنطين .
ينظرون اليك ، أنت فقط ، ويطلقون عليك اسم المخلص والمحرر العام ، للشعب
العارق في الطوفان الجارف .

اتخذوا دولتك ملجأ يلوذون به ، كما يلوذون بمرقا الأمان . لا أظن أن أحدا من
الأنباطة الذين حكموا القسطنطينية يتساوى معك ، فيما عدا باسيل العظيم
سفاح البلغار ، ومن قبله هيراكليوس ه .

(1) Michael Acominatus, ed Campros, PP. 150-151 in Greek.

المصادر والمراجع

References

- 1 - Allen: A History of the Georgian People, 1932.
- 2 - Angold: A Byzantine Government in Exile, 1204-1261, Oxford, 1975.
- 3 - Barrachough (G.): The Medieval Papacy, London, 1975.
- 4 - Brehier (L.): Vie et mort de Byzance, ed. Albin Michel, Paris, 1969.
La Civilisation Byzantine ed. Albin Michel, Paris, 1970.
L'institutions de L'empire Byzantine, ed. Albin Michel, Paris, 1970.
- 5 - Choniates (N.): Historia, ed Bekker, in corpus scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1935.
- 6 - Clari (R.): La Conquete de constantinople, editée par lauer, Paris, 1924.
- 7 - Diehl (ch): Une Republique Patricienne, Venise (Bibliothèque de philosoph Scenitrique), 1928.
- 8 - Foord: The Byzantine Empire, London, 1911.
- 9 - Gardner (A.): The Iascarids of Nicaca, London, 1912.
- 10- Gelzer (H.): Abriss der Byzantinischen Kaesergeschichte, Munich, 1897.
- 11- Georgu Acropolites, Opera, ed. Heisenberg, Leipzig, 1903.
- 12- Gibbon (E.): The decline and Fall of the Roman Empire, 6 Vols, New York, 1976.
- 13- Glykatzi-Ahrweiler: "La politique agaire des Empereurs de Nicée" dans la Revue de (Byzantion), tome XXV III, Brux elle, 1958.
- 14- Gregoras (N.): Historiae Byzantinae, ed. Weberi, Bonn, 1829.
- 15- Grousset (R.): Histoire des croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, Paris, 1956.
L'emfire des Steppes, 1945.
- 16- Guillon: La civilisation Byzantine, Arthand, Prais, 1974.
- 17- Hussey (J.): The Byzantive World, London, 1967
- 18- The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization, L.S.A. 1980.
- 19- Labis: Histoire de France, Paris, 1976.
- 20- Lexi Con Universal Encyclopedia, Lexicon Publication, Inc. New York, 1983, 21 Vols.

- 21- The Lincoln Library of Essential Information, The Frontier press Company, Columbus, Ohio, U.S.A. Thirty Ninth Edition, 1978.
- 22- Magle: Roman Rule in Asia Minor, 2 Vols, 1975.
- 23- Miller: The Empire of Nicaea and the recovery of Constantinople in C.Med.H. ed. Bury, Vol, IV, Cambridge, 1923.
Imperial Constantinople, U.S.A. 1969.
- 24- Nicol (D.): The Fourth crusade and the Greek and latin Empires, 1204-1261, in C.Med.H. Vol, IV, Part, ed. Hussey, Cowbridge, 1975.
Byzantium, its ecclesiastical history and relations with the western world, London, 1972.
- 25- Neumann (C.): "Die Byzantinische Marine", Historische Zeitschrift, LXXX, 1, 1898.
- 26- Ostrogorsky: History of the Byzantine State, English trans. by Hussey, Oxford, 1968.
- 27- Painter (S.): A History of the Middle Ages, New York, 1954.
- 28- Pears (E.): The Fall of Constantinople being the Story of the Fourth Crusade, New York, 1975.
- 29- Runciman (S.): The History of the crusades, Vol. 3, Cambridge university Press, 1966.
The Byzantine Theocracy, Cambridge University Press, 1977.
- 30- Tessier (J.): La quatrième croisade, la division sur Zara et Constantinople, la rowx, Paris, 1884.
- 31- Ushensky: The Formation of the Second Kingdom of Bulgaria, Odessa, 1879.
- 32- Vasiliev: History of the Byzantine Empire (324-1453), U.S.A. 1971.
- 33- Villehardouin (G.): La Conquete de Constantinople par les Barons Francais associez que Venitiens L'an 1204. English Transl. by Sir Marzials, London, 1965.
- 34- Walter: La Ruine de Byzance (1204-1453), ed. Albin Michel, Paris, 1958.
- 35- Whitting (Ph.): Byzantium, Oxford, 1981.
- 36- Wolff (R.): Studies in the latin Empire of Constantinople, London, 1976.